

إصدارات العقبة
مدينة الثقافة الأردنية لعام 2016

أيلة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية والإستراتيجية

- أبله (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية والإستراتيجية
- تاريخ الأردن
- الأستاذ الدكتور: يوسف حسن غوانمة / أستاذ التاريخ والحضارة
- الطبعة: الثانية، 2016 م
- إصدارات العقبة مدينة الثقافة الأردنية لعام 2016
- الناشر: وزارة الثقافة
- شارع صبحي القطب المقترع من شارع وصفي التل، بناية رقم 20
ص.ب: 6140، عمان - الأردن
تلفون: 5696218 / 5699054
فاكس: 5696598
بريد الكتروني: info@culture.gov.jo
- التنسيق والإخراج الفني: محمد عدنان حسين
- الطباعة: مطبعة السفير / تلفون: 06-4657015، تلفاكس: 06-4657052
- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (3265 / 7 / 2016)
- ردمك: (5 - 246 - 94 - 9957 - 978)
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
- جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

أيلة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية والإستراتيجية

الأستاذ الدكتور
يوسف حسن غوانمة
أستاذ التاريخ والحضارة

وزارة الثقافة الأردنية

الطبعة الثانية

2016

الإهداء

إلى أيلة «العقبة» ثغر الأردن الجميل،

وإلى أهلها أحفاد عقيل بن خالد،

ويونس بن يزيد،

وعبد الحَكَم بن أعين.

أهدي هذا الكتاب

المقدمة

لعبت أيلة (العقبة) والبحر الأحمر دوراً مهماً في تاريخ العالم القديم والوسيط والحديث ، وكانت أيلة نافذة الشام على الجنوب العربي وأفريقيا والشرق الأقصى. أما البحر الأحمر فكان الشريان الذي من خلاله ربطت قارات العالم القديم بأقصر وأهم خط ملاحى وتجارى. ومن هنا جاءت المحاولات المتكررة للسيطرة عليه وإخضاعه ، وكان للفراعنة والإغريق والبطالمة والسلوقيين ثم الرومان والبيزنطيين والفرس دورهم العسكرى والتجارى والملاحى ، ولكن محاولاتهم لم تسفر عن شيء ، وبقي البحر الأحمر بمداخله الجنوبية ومنافذه الشمالية بحراً عربى الهوية والطابع. ولما جاء الإسلام حافظت الدولة العربية الإسلامية على إبقاء البحر الأحمر بحراً إسلامياً بعيداً عن الصراعات والنزاعات الدولية ، وظل يخدم حركة التجارة والمواصلات الدولية قروناً عديدة متعاقبة ، وبرزت أهمية موانئه فى أيلة والسويس كميناءين هاميين مؤثرين فى حركة التجارة الدولية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد وضع العرب المسلمون إستراتيجية هامة ، وهى إبعاد البحر الأحمر عن أى تدخل أجنبى كي تبقى المقدسات الإسلامية فى الحجاز بمنأى عن الصراعات والنزاعات والخلافات الدولية. ومع هذا الإصرار فإن القوى الأجنبية حاولت أكثر من مرة كسر هذه الإستراتيجية ، فحاولت بيزنطة وفارس فى القرون الأولى بسط هيمنتها عليه

ولكنهما فشلتا، ثم عادت الدول الأوروبية ممثلة بمملكة بيت المقدس اللاتينية السيطرة على البحر الأحمر وأيلة وتحويل جزء من تجارته إلى موانئهم في الساحل الفلسطيني باحتلال أيلة وبناء أسطول حربي في البحر الأحمر والتدخل في تجارته وملاحته، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حاولوا تدنيس المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة، ولكن صلاح الدين الأيوبي فوت عليهم هذه الفرصة فأنهى وجودهم وحرر أيلة من سيطرتهم وأعاد للبحر الأحمر سمته العربية الإسلامية وأبقاه بحرا إسلاميا خالصا. ولكن أوروبا التي فشلت في الاستحواذ على البحر الأحمر وموانئه في العصور الوسطى، أعادت الكرة في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي فبعثوا الكشوف الجغرافية للشرق الأقصى ووصلوا إلى الهند وأرسلوا أساطيلهم إلى البحر الأحمر وسواحل الحجاز لكن الدولة المملوكية لم تمكنهم من ذلك.

إلا أن أطماعهم هذه عادت مرة أخرى فاستغلوا ضعف الدولة العثمانية والظروف الدولية فاحتلت بريطانيا عدن ومصر، وأعيد استخدام البحر الأحمر في حركة التجارة والمواصلات الدولية مع الشرق الأقصى، وحدث صراع دولي على خطوط المواصلات عبر الشرق الأوسط والبحر الأحمر والخليج العربي، وكان الراجح بريطانيا ثم فرنسا التي منحت حق امتياز حفر قناة السويس لربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط. وهكذا عاد الصراع مجددا إلى منطقتنا العربية وكان رد الدولة العثمانية أن حاولت إدخال طرف جديد إلى الصراع وهي القوة الألمانية ولم يجد ذلك نفعاً، وكرست بريطانيا نفوذها في منطقتنا، ثم عقدت معاهدة القسطنطينية من أجل حرية الملاحة في البحر الأحمر وقناة السويس، وقد

حاولت الدولة العثمانية إبقاء أيلة (العقبة) والسواحل الشرقية للبحر الأحمر بمنأى عن التدخل الأجنبي الاستعماري، فتحفظت على المادة العاشرة من هذه المعاهدة كي تبقى خليج العقبة خليجاً داخلياً بعيداً عن حرية الملاحة الدولية وهو ما استطاعت الدولة العثمانية عمله بسبب ظروفها العسكرية والاقتصادية والدولية.

من هنا جاءت أهمية هذه الدراسة لإبراز الدور الكبير والفعال الذي لعبته أيلة والبحر الأحمر على مدى العصور، وهي في ستة فصول: يتناول الفصل الأول تسمية أيلة واشتقاقها وتاريخها حتى الفتح العربي الإسلامي فقد أكدت الدراسة أن أيلة كلمة سامية مشتقة من (أيل) بمعنى الله، وأما أيلة نفسها فهي مدينة أدومية قديمة وإنها وجدت وسميت بهذا الاسم قبل مجيء العبرانيين إلى فلسطين وأرض أدوم وقد ذكرتها التوراة بهذا الاسم. ولهذا فإننا نؤكد أن أيلة مدينة عربية أما الكلمات الأخرى الإغريقية والأوروبية فهي ترجمة للكلمة العربية (أيلة) ثم أن أيلة بقيت في رأس خليج العقبة طيلة القرون الماضية نافذة تجارته وحضارته على البحر الأحمر والشرق الأقصى ويمكن أن تكون أيلة القديمة غرقت في مياه الخليج وأنها في مكان قريب من الشاطئ وهذه وجهة نظر تبقى قائمة حتى يقوم بحث علمي في مياه الخليج يدحضها.

ويتناول الفصل أيضاً دراسة تاريخ أيلة والبحر الأحمر عبر العصور القديمة من 1200 ق.م والنشاط التجاري والملاحي عبره، واهتمام الأمم القديمة في السيطرة عليه بدءاً بالفراعنة والإغريق والبطلمة والرومان والفرس وانتهاءً بالبيزنطيين ومحاولتهم المستمرة وصراعهم مع الفرس حتى الفتح العربي الإسلامي.

أما الفصل الثاني فيبحث في تاريخ أيلة والبحر الأحمر في العصر الإسلامي، بدءا بعصر الرسول (ﷺ)، والعصر الأموي والعباسي، ثم العصر الأيوبي وفترة الصراع الصليبي في بلاد الشام، وكيف أن دولة اللاتين في القدس تطلعت بعد قيامها للسيطرة على البحر الأحمر والجنوب العربي وتحويل جزء من تجارته إلى موانئهم على البحر المتوسط فاحتلوا أيلة 510هـ (1116م) وبنوا أسطولا حربيا في خليج العقبة والبحر الأحمر ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أرادوا التدخل في شؤون المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة، فقام أرناط حاكم الكرك بحملتين صليبيتين إلى الجنوب العربي والحجاز وكاد أن يصل إلى المدينة لهدم مسجد الرسول ونبش قبره، لكن صلاح الدين وقائد أسطوله حسام الدين لؤلؤ فوت عليه هذه الفرصة. لذا كانت إستراتيجية صلاح الدين أن يبقى البحر الأحمر بحرا عربيا إسلاميا فنجده يضم اليمن إلى سلطانه وسيطر على مخرجه في الشمال (أيلة والسويس) وبذا منع أي تدخل أجنبي في مياهه وسواحله. وظلت العقبة والبحر الأحمر مجال اهتمام السلاطين المماليك، إذ أصبحت العقبة في عصرهم مدينة جليلة واسعة التجارات على طرق القوافل التجارية والحجاج، أما البحر الأحمر فكان الشريان التجاري الهام للدولة المملوكية.

ويبحث الفصل الثالث في الأهمية الإستراتيجية للعقبة والبحر الأحمر في العصور القديمة والعصر الإسلامي، فميناء العقبة يعتبر باب البلاد الشامية على المحيط الهندي وإفريقية والشرق الأقصى، ومن هنا جاءت أهميتها الإستراتيجية والتجارية، أضف إلى ذلك أن موقعها في فم الخليج جعلها تتحكم في طرق المواصلات البرية التي تربط مصر والشمال الإفريقي بالحجاز والجنوب العربي.

وأن علاقاتها مع إفريقية والشرق الأقصى تبرز منذ سنة 975 ق.م ، وظلت هذه العلاقات متجددة طيلة العصور التالية. ولأهمية البحر الأحمر التجارية فقد حاولت الأمم القديمة السيطرة عليه والتدخل في شؤونه، لذا فقد عمل العرب المسلمون على إبعاده عن الأخطار الخارجية وإبقائه بحرا عربيا إسلاميا طيلة العصور المتلاحقة ، ولكن القوى الاستعمارية الحديثة هدمت هذه الإستراتيجية فاحتلت مداخله الجنوبية ومخارجه الشمالية وجعلته تحت هيمنتها وسيادتها ، وأدخلته في نطاق مجالها الحيوي.

ويتناول الفصل الرابع الصراع الدولي في السيطرة على البحر الأحمر منذ العصر المملوكي وبدء الاكتشافات الجغرافية ، ومحاولة البرتغال التدخل والسيطرة على موانئه وتجارته. ولكن الدولة المملوكية رغم ضعفها العسكري والاقتصادي وقفت في وجه هذه المحاولات الاستعمارية ومنعت الأساطيل البرتغالية من الدخول إلى البحر الأحمر، إلا أن الدولة العثمانية لم تمهلها ، فاجتاح العثمانيون الشام ومصر وأسقطوا الدولة المملوكية سنة 922هـ (1517م) ، وبذا وقع على كاهل الدولة العثمانية مهمة المحافظة على البحر الأحمر والمقدسات الإسلامية في الحجاز وإبقائها بمنأى عن التدخلات الاستعمارية الأوروبية. ورغم المحاولات العديدة التي قام بها العثمانيون لصد هذا المد الاستعماري إلا أنها في النهاية عجزت عن صده. ومع الزمن ظهرت قوى جديدة على مسرح أحداث المنطقة العربية ، والمحيط الهندي ، وأصبح البحر الأحمر بعد الثورة الصناعية مجال اهتمام الدول الاستعمارية الأوروبية ، خصوصا وأن طريق البحر الأحمر ومصر أصبح أقصر طريق يربط أوروبا بالشرق الأقصى. وهكذا دخلت المنطقة العربية كاملة في أتون الصراعات الدولية وخطوط مواصلاتها واتصالاتها ، وحضرت قناة

السويس، فمكّن الاستعمار قبضته في منطقتنا فتم احتلال مصر وعدن والخليج العربي. ولم تتمكّن الدولة العثمانية من الوقوف في وجه هذا المد الاستعماري الأوروبي بسبب ظروفها الصعبة، فحاولت على الأقل من خلال المعاهدات الدولية إبقاء خليج العقبة بعيداً عن الملاحة الدولية وكذلك سواحل البحر الأحمر الشرقية حيث المقدسات الإسلامية ومد خط حديد الحجاز لينتهي في طابا على خليج العقبة. ورغم كل ذلك كانت بريطانيا هي الراححة وبذا ارتفع العلم البريطاني لأول مرة فوق مياه البحر الأحمر بعد قرون عديدة حافظ فيها العرب والمسلمون على عروبة هذا البحر الإستراتيجي الهام.

أما الفصل الخامس فهو عن الحركة العلمية في العقبة، تناول النشاط العلمي والثقافي في أيلة وكيف أنها أصبحت بؤرة إشعاع علمي في العصر الإسلامي الأول وأنها كانت إحدى مدارس علم الحديث في العالم الإسلامي، فنبغ منها العديون في علم الحديث، وبقيت أيلة تتبوأ هذا المركز المرموق في العلوم الدينية حتى القرن الرابع الهجري. وقد ترجمت لنبهة جيدة من العلماء الذين ينتمون إلى أيلة والذين خدموا العلوم الدينية في مصر والشام، بل إن قسماً منهم كان له الفضل في إرساء العلوم الدينية والتاريخية في مصر.

وقد خصص الفصل السادس والأخير للتحديث عن الآثار الباقية في العقبة، ورغم إيماننا بأن أيلة كانت مهمورة بالمنشآت المعمارية العديدة كغيرها من المدن الشامية التي ازدهرت في العصر الروماني والبيزنطي، إلا أننا لا نجد منها شيئاً، وهذا يؤكد وجهة نظرنا بأن هذه المنشآت غرقت في مياه الخليج، لذا فقد تناولنا في دراسة آثار العقبة خانها وقلعتها البحرية في جزيرة فرعون.

وقد أثبتنا أن خان العقبة من بناء الظاهر بيبرس، وأن السلاطين المماليك
والعثمانيين زادوا عليه ورمموه. أما قلعة جزيرة فرعون فهي قلعة إسلامية، ونرى
أن ديوانا لقباض المكوس كان فيها وليس في جزيرة جوتابا (تيران) الحالية في
مدخل خليج العقبة.

أرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء قارئنا العربي صورة حية عن تاريخ مدينة
العقبة والبحر الأحمر عبر العصور.

وفقنا الله جميعا لما فيه خدمة أمتنا

والله من وراء القصد.

إريد

1984 / 2 / 29م

الفصل الأول

أيلة (العقبة) في العصور القديمة

1- التسمية والموقع.

2- أيلة في التاريخ القديم حتى الفتح العربي الإسلامي.

1- التسمية والموقع

أيلة: (بفتح الهمزة وسكون الياء وتخفيف اللام) مدينة على طرف اللسان الشرقي لخليج العقبة⁽¹⁾، وقد اختلف العلماء في تفسير كلمة (أيلة)، فأيلة مدينة أدومية قديمة، فالأدوميون سكنوا جنوب الأردن الحالي، قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وكانت عاصمتهم (بصرى، بصيرة الحالية)، ومن مدنها سلاع (سلاع) وأيلة. وقد اختلف الباحثون في تفسير كلمة (أدوم)، فيرى بعضهم أنها مشتقة من (جذام) القبائل العربية المعروفة، فالعبرانيون حرفوها إلى (ايدوم وايدام) ثم إلى (أدوم)⁽²⁾. وكان للأدوميين نظام ملكي، بلغوا ثمانية ملوك قبل أن يجيء (شاؤل) كأول ملك على إسرائيل، ومرت فترة 400 سنة بين منع الأدوميين لليهود من العبور في أرضهم ومجيء شاؤل ومحاربه لهم واستيلائه على أرضهم⁽³⁾. (أيلة) إذن موجودة قبل الوجود اليهودي في فلسطين وأدوم، والتوراة ذكرتها باسم (أيلة) فهي تقول (وعمل

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 178.

ونعتها المقدسي (ويلة) ويقول أن أيلة مدينة قديمة خربت على قرب منها (أحسن التقاسيم، ص 178).

وانظر: البكري، معجم ما استعجم، ص 217، ياقوت، معجم البلدان، ص 292، والمشارك وضعاً، ص 32، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 71، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 153.

(2) محمود الغول، الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، جامعة حلب، 1981م.

(3) نسيب وهيب الخازن، من الساميين إلى العرب، دار المعارف، بيروت، 1979، ص 66، 69، 70.

الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في أرض أدوم). (سفر الملوك الأول الإصحاح التاسع).

وأيلة اشتقت من (أيل)، فكلمة أيل جاءت في نص جلجاميش بمعنى (الله) وجمعها (أيلاني)، وكان (أيل) إله الأكاديين والكنعانيين والعبرانيين، وورد (أيل) في نصوص اوغاريت (رأس الشمرة) كاسم علم، وهذه النصوص سبقت التوراة بأكثر من ألف سنة⁽¹⁾.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد استولى الآراميون على أيلة، فالتوراة تقول (في ذلك الوقت أرجع رصين ملك آرام أيلة للآراميين، وطرد اليهود من أيلة، وجاء الآراميون إلى أيلة وأقاموا هناك إلى هذا اليوم) (سفر الملوك الثاني الإصحاح 16). ولما كانت اللغة الآرامية الشرقية تنتهي مفرداتها بـ (ايه) فمن الممكن أن (أيل) لفظها (أيلة)، أو أن أيل الحالية تعني (الله) (الفيروز أبادي مادة أيل). ويرى الأستاذ أنيس فريحة أن أيلة مشتقة من (أيلي أتي) Eli Atha وتعني (إلهي أتي وحضر)⁽²⁾، ومن الملاحظ أن المعنيين من عرب الجنوب عرفوا واستخدموا كلمة (أيل) وشكلت مقطعاً لأسماء بعض ملوكهم منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد مثل (أيل يفع وقه) والملك (وقه أيل صدق)⁽³⁾. ولما كانت جذام قبائل جنوبية، فلا شك أن كلمة (أيل) عربية جنوبية انتقلت مع الموجات السامية إلى بلاد ما بين النهرين والشام.

(1) نسيب الخازن، المرجع السابق، ص 32-34.

(2) أنيس فريحة، أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، ص 15.

(3) منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة البصرة، 1980م، ص 172، 173، 174.

وهكذا نستطيع القول أن (أيلة) كلمة سامية مشتقة من (أيل) المعينية الكنعانية الأدمية الآرامية العربية وتعني (الله). وهناك موقع آخر يسمى (أيلة) وهو جبل ينبع ما بين مكة والمدينة⁽¹⁾، أما (إيلة) بالكسر فهي قرية من قرى باخرز نيسابور بخراسان⁽²⁾، وذكر حسان بن ثابت أيلة في شعره فقال:

من يغر الدهر أو يأمنه

من قبيل بعد عمرو وحجر

ملكاً من جبل الثلج إلى

جانبي أيلة من عبد وحر⁽³⁾

أما التسميات الأخرى الإغريقية واللاتينية والأوروبية فهي ترجمة للكلمة العربية (أيلة)، فاليونان أطلقوا عليها (أيلانيتيك (Elanitique)، أما اللاتين فقد ذكروها باسم:

Leena, Aelana, Aelath, Ailath, Aila.⁽⁴⁾

وتقوم أيلة في رأس خليج العقبة على ساحل البحر الأحمر على نحو 190 ميلاً من السويس بطريق البحر و150 ميلاً بطريق البر، وكانت المدينة الوسيطة قائمة على تلة وسط حديقة متسعة من النخيل تمتد شمالاً وجنوباً مسافة ميل أو أكثر على ساحل

(1) ياقوت: المشترك وضمها، ص 32 وانظر: البكري، معجم ما استعجم، ص 217.

(2) الذهبي، المشتبه في الرجال، ج 1، ص 8.

(3) نشوان بن سعيد، منتخبات من أخبار اليمن، ص 5.

(4) موصل، دائرة المعارف الإسلامية، مادة (أيلة)

ويرى آرثر ان : Elath, Elim,

اسم جنسي أو نوعي ويعني الأشجار (The Trees) أي أشجار النخيل التي تكثر في أيلة.

Arther, Sinia and Palistine, P. 20

الخليج، وفي البلد آبار عذبة، تزرع عليها أنواع مختلفة من الخضروات⁽¹⁾، ويكتنف المدينة من جهة سيناء جبل عظيم يبعد سفحه الشرقي مسافة $3\frac{3}{4}$ الميل من أيلة، وله عدة قمم تدعى جبالا أشهرها: (جبل الشنافة) و (جبل أبو جدة) و (جبل الراداي). ولكي يصل المرء إلى أيلة من جهة سيناء لا بد أن يسير من خلال هذا الجبل، الذي يشكل عقبة عظيمة في طريق المسافرين، لذا نقب هذا الجبل ومهدت الطريق من خلاله أكثر من مرة في فترات متباعدة في العصر الإسلامي، وسميت هذه الطريق (عقبة أيلة)⁽²⁾. وأيلة آخر الحجاز من جهة الشام، وآخر مصر من جهة الشرق⁽³⁾، وآخر الشام من جهة البحر الأحمر، وهي (فرضة) فلسطين وخزانة الحجاز⁽⁴⁾. وعرفت بثغر أيلة⁽⁵⁾، إلا أنها سميت في العصر المملوكي (بالعقبة)⁽⁶⁾، وغلب هذا الاسم عليها حتى الوقت الحاضر.

-
- (1) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 193.
- (2) النويري، نهاية الأرب، ج 31 لوحة 128 «مخطوط» المقريري، السلوك، ج 2، ص 353.
- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج 9، ص 60، 105.
- السيوطي، حسن المحاضرة، ص 115. نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 37.
- يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، ط 2، ص 187.
- (3) البكري، معجم ما استعجم، ج 1، ص 31. ياقوت، المشترك وضعاء، ص 31.
- ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، ص 10.
- (4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 178.
- (5) ابن واصل، مفرج الكروب، ج 3، ص 294، وهناك موقع بباخرز نيسابور قرية اسمها (إيلة) بالكسر والنسبة إليها (الإيلي) (الذهبي، المشتبه في الرجال، ج 1، ص 8).
- (6) ولي الدين العراقي، الذيل على ذيل العبر، لوحة 92 (مخطوط) مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 135. المقريري، السلوك، ج 2، ق 2، ص 355. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج 11، ص 73، 115. السخاوي، الضوء اللامع، ج 2، ص 15. ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 40.

وهنا أطرح السؤال التالي: أين أيلة القديمة، أيلة الرومانية والبيزنطية؟ فأيلة كانت مدينة عريقة اهتم بها الإغريق والرومان والبيزنطيون، ولا شك أنهم مهروها بالمنشآت العديدة كغيرها من مدن الشام، فبقايا تلك المنشآت نراها باقية للآن في: جرش وعمان ومادبا وأم قيس، وفحل، وبيت راس، وتدمر وبصرى وغيرها. ثم أين الكنائس والمساجد العديدة التي ذكرتها المصادر الأجنبية والعربية؟ وليس لدي أدنى شك في أن منشآت أيلة كانت من الحجارة لتوفرها في المنطقة، ولوجود بقايا خانها (قلعتها) وبقايا قلعة جزيرة فرعون ماثلة للآن. إذن أين أيلة القديمة؟ لقد تعرضت أيلة في العصور القديمة والوسيلة للزلازل العديدة التي ضربت بلاد الشام⁽¹⁾، ولوقوعها في فوهة خليج العقبة الذي يشكل جزءاً من حفرة الانهدام غير المستقرة، فلا شك أن هذه العوامل الطبيعية أثرت في أيلة فابتلعت أجزاءً منها فترة بعد أخرى، وزحف البحر إليها وغطى معظمها، فغاصت تلك المنشآت في قاع البحر وتلاشى أمرها مع الزمن. ومما يؤكد رأينا هذا ما ذكره بعض الرحالة العرب والأجانب، فالوريثلاني الحسين بن محمد (ت1193هـ) زار أيلة في العصر العثماني في طريقه إلى الحج وقال: «سألت هناك وبحثنا عن القرية التي كانت حاضرة البحر هل بقي من رسومها شيء، فلم نجد من يشفي لنا خبرها، وقد ذكر لنا بعض الناس أنه بأعلى الوادي أثر بناء كثير يشبه أن يكون مدينة، ولعلها هي، وقد أخبرنا كثير من متسوقة الأعراب الذين هناك أن وراء

(1) تحدثت المصادر البيزنطية عن الزلازل التي ضربت بلاد الشام في عهد جستين الأول سنة 526م، وأدت إلى تدمير العديد من المدن وكان تأثيرها كبيرا في مدينة انطاكية، فهدم معظمها واشتعلت فيها النيران، ثم أن الطاعون الذي استمر ست سنوات والجفاف أثر في البيئة الشامية وأدى إلى إنهاك اقتصادي وسياسي للبلاد.

(Vasiliev, Justin 1, P. 353 , 360)

الجبل الكبير المشرف على القرية (أيلة) بلدة فيها نخيل وماء، إلا أنها خالية، ويمكن أن تكون هي فإنها قريبة من البحر»⁽¹⁾.

أما المقريزي فيقول: «وأيلة أول حد الحجاز، وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح، بها التجارة الكثيرة، وأهلها أخلاط من الناس، وكانت حد مملكة الروم في الزمن الغابر، وعلى ميل منها باب معقود لقيصر، وقد كان فيه مسلحته يأخذون المكس»⁽²⁾، فالمقريزي تحدث عن بوابة ضخمة كتلك البوابات التذكارية التي كانت تقام في العصر الروماني والبيزنطي تكريماً للأباطرة. وفي القرن التاسع عشر زارها بيركهارت الرحالة السويسري فقال: «وعلى الشاطئ الشرقي للخليج تقع قلعة أصغر نصف متهدمة، ويسكنها البدو فقط، وتسمى (قصر البيضاوي) وعلى مسافة ثلاثة أرباع الساعة من العقبة، وعلى نفس المسافة من قصر البيضاوي يشاهد الناظر آثار خرائب في البحر عند حدوث الجزر، ويقال أن هذه الخرائب عبارة عن جدران ومنازل وأعمدة ولكن ليس من السهل الاقتراب منها لوجودها ضمن المياه الضحلة»⁽³⁾.

لذا باعتقادي أن أيلة القديمة قد غرقت في البحر وأنها في مكان ما قرب الشاطئ، فمن غير المعقول أن هذه المدينة العريقة التي لعبت دوراً هاماً في تجارة الإغريق والرومان والبيزنطيين والمسلمين لم تكن سوى أدر قليلة لا قيمة لها كما وصفها بعض الرحالة المحدثين. فلا شك أنها كغيرها من المدن الشامية التي ازدهرت في

(1) الورثياني، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار، المعروف بالرحلة الورثيانية، ط2، بيروت 1974م، ص 235.

(2) المقريزي، الخطط، ص 345.

(3) بيركهارت، رحلة بيركهارت، ص 170.

تلك العصور ما زالت بعض بقاياها ماثلة للعيان، أما بقايا أيلة فلا شك أن البحر ابتلعها تماما كمنشآت الإسكندرية الإغريقية التي أصبح معظمها تحت الماء. هذه وجهة نظر ستبقى قائمة حتى يقوم بحث علمي في مياه الخليج يدحضها.

2- أيلة في التاريخ القديم حتى الفتح العربي الإسلامي

أيلة مدينة قديمة من مدن الأدوميين، وهم أول من اتخذها ميناء على البحر الأحمر⁽¹⁾، وتردد ذكرها في التوراة في تلك الحروب التي نشبت بين الأدوميين والإسرائيليين في يهوذا. فقد تمكن الملك داود من بسط سلطانه على قسم من بلاد أدوم ومن بينها أيلة⁽²⁾، وازدهرت أيلة في عهد الملك سليمان الذي اتخذها ميناءً هاماً، فبنى فيها السفن التجارية، وتمكن بمساعدة من الفينيقيين من إنشاء أسطول تجاري يربط أيلة بالشرق وتجارته⁽³⁾، (سفر الملوك الأول الإصحاح الأول).

ولكن الأدوميين تمكنوا من طرد الإسرائيليين من بلادهم، وتخلصوا من سيطرتهم، فالتوراة تقول: «في أيامه (الملك يورام) عصى أدوم من تحت يد يهوذا وملكوا على أنفسهم ملكاً⁽⁴⁾»، فعادت أيلة والحالة هذه للحكم الأدومي. وقد حاول الملك عزريا أن يبسط نفوذه على أيلة، ولكن الأراميين بقيادة ملكهم (رصين) احتلوا

(1) Robert, The Holy Land, Vol. 3 , P. 40

وانظر المقرئبي، الخطط، ج1، ق3، ص328.

(2) Ibid , P. 40

(3) Ibid , P. 40

(4) سفر الملوك الثاني الإصحاح 8.

أيلة (سفر الملوك الثاني الإصحاح 14، 16، وأخبار الملوك الثاني الإصحاح 26)، ولم تعد لحكم اليهود مطلقاً⁽¹⁾.

ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد دخلت أيلة تحت حكم الآشوريين⁽²⁾، فقد تغلب تجلت بلاسر على الآراميين في دمشق وقتل ملكهم رصين، وتذكر التوراة أن آحاز ملك يهوذا أرسل إلى ملك آشور يطلب منه أن يخلصه من ملك آرام (سفر الملوك الثاني الإصحاح 16).

وفي القرن السادس قبل الميلاد دخلت أيلة تحت السيطرة البابلية، ولكن كورش الفارسي تمكن في سنة 539 ق.م من القضاء على بابل، فانتقلت أملاكها في سوريا وفلسطين وشرقي الأردن إلى الفرس، وكانت أيلة ضمن الولاية الخامسة التي سميت (مرزبانة عبر نهر)⁽³⁾.

وكان الأنباط قد استقروا في المنطقة المسماة ببلاد العرب الصحيرية منذ القرن السادس قبل الميلاد، بعد أن قضوا على مملكة أدوم، وتمكنوا منذ القرن الرابع من السيطرة على الطرق التجارية بين مصر والشام والجزيرة العربية⁽⁴⁾.

ولكن الإسكندر المقدوني انتصر على داريوس ملك الفرس سنة 333 ق.م، فاجتاحت قواته بلاد سوريا، وبعد موته قسمت امبراطوريته بين قواده، فكانت مصر

(1) Robert, Op.Cit, P. 43

(2) Sir Charles, Pecturesque, P. 227

(3) نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ج 3، ص 349.
يوسف غوانمه، عمان حضارتها وتاريخها، ص 48.

(4) رينه ديسو، العرب في سوريا، ص 15،

من نصيب أسرة البطالمة، أما سوريا فكانت من نصيب السلوقيين. واستطاع بطليموس الأول في عام 312 ق.م أن يضم ما يسمى سوريا الجنوبية Coele Syria وتشتمل على جنوب فلسطين وشرق الأردن، فأصبحت أيلة والحالة هذه ضمن أملاك البطالمة في مصر⁽¹⁾.

اهتم البطالمة بالبحر الأحمر والساحل الإفريقي والجنوب العربي، وأنشأوا علاقات تجارية مع هذه المناطق، ولكن بطليموس الثاني أبدى بعض الاهتمام بالساحل الغربي للجزيرة العربية، فأرسل ارستون Artiston ليقوم بمهمة استكشافية لهذه المناطق، وكان الهدف إعادة فتح الطريق الملاحي بين أيلة وعدن، وفعلا سيطر البطالمة على أيلة في خليج العقبة وعلى طريقها الملاحي عبر البحر الأحمر والجنوب العربي⁽²⁾.

أثارت سياسة البطالمة هذه حفيظة الأنباط الذين كانوا يسيطرون على الملاحة والتجارة في خليج أيلة، وكان ميناؤهم ليوكي كومي Leuce Come يقوم بمهمة نقل التجارة من الجنوب فتنقله القوافل إلى البتراء وغزة على البحر المتوسط. لذا رفض الانباط تدخل هذه القوة الجديدة في البحر الأحمر، فأخذوا يهاجمون سفن البطالمة وينهبون ما فيها من سلع شرقية⁽³⁾. وعلى الرغم من نشاط بطليموس الثاني ووصول بعض السفن اليونانية إلى الجنوب العربي، فإن التجارتين البرية والبحرية بين

(1) نجيب ميخائيل، المرجع السابق، ج3، ص 349.

Robert, Op. Cit, P. 43

(2) جورج حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الاجلو المصرية، القاهرة، 1958م، ص 58.

(3) جورج حوراني، نفس المرجع، ص 58.

الجنوب العربي ومصر وسوريا خلال القرن الثالث قبل الميلاد، كانت في أيدي العرب الأنباط في الشمال والسبأيين والمعينيين في الجنوب⁽¹⁾.

وقد طور البطالمة والسلوقيون علاقاتهم التجارية مع البحر الأحمر والساحل الإفريقي والجنوب العربي، بل إنهم أقاموا رحلات منتظمة إلى الهند⁽²⁾. وفي القرن الأول قبل الميلاد دب الضعف والتفكك والانحلال في بطالمة مصر وسلوقي سوريا، فتمكن الأنباط من السيطرة على تجارة العالم القديم وطرقه، بل أحكموا سيطرتهم على منطقة شرقي الأردن، وامتد نفوذهم إلى دمشق سنة 85 ق.م نفسها، وبذا امتدت سلطتهم من دمشق شمالا حتى وادي القرى جنوبا، ومن بادية الشام شرقا إلى خليج السويس غربا.

وفي سنة 64 ق.م تقدم بومبي القائد الروماني وضم سوريا إلى أملاك الامبراطورية الرومانية تحت اسم ولاية سوريا Provincia Syria وأصبحت عاصمتها (انطاكية⁽³⁾). فدخلت أيلة تحت النفوذ الروماني، ولكن منطقة الجنوب بقيت بأيدي الأنباط، فازدهرت التجارة بسبب الطلب المتزايد من الرومان على سلع الهند والصين والساحل الشرقي لإفريقية⁽⁴⁾.

وقد بلغت هذه التجارة التي كانت تعبر البحر الأحمر من الأهمية مبلغا جعلها الشغل الشاغل للامبراطورية الرومانية، فترتب عليها حماية التجارة من القرصنة البحرية والاستغلال في الموانئ، بالإضافة إلى أطماع الدولة نفسها في الاستحواذ

(1) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 59.

(2) المرجع نفسه، ص 66.

(3) ميليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج 1، ص 309.

(4) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 77.

على التجارة لما تشكله من دخل كبير لخزيرتها وتحويلها إلى الموانئ المصرية مثل (برينكي وميوس هر موسى). فأمر اغسطس بحملة (أيليوس جالوس) Aelius Gallus ثاني ولاية مصر (26-24 ق.م) ليشعر عرب الجنوب بقوة وسطوة الدولة الرومانية ولاحتلال إحدى عواصمهم⁽¹⁾، فحشد أيليوس جيشا كبيرا قوامه عشرة آلاف مقاتل، وقد أرغم الرومان حلفاءهم الأنباط على تقديم المعونة والمشورة إلى حملتهم، فبعث الملك (عبادة الثالث) ملك الأنباط ألف جندي مع وزيره سلايوس (صالح) ليكون دليلا لحملتهم. وأعد أسطولا ضخما قوامه 80 سفينة وأبحر من ميناء (ارسينوى) - قرب السويس الحالية-، وأقلعت الحملة في 25 ق.م متجهة إلى ميناء ليوكي كومي Leuce Come الميناء النبطي على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وقد عانت الحملة كثيرا بسبب صعوبة الملاحة في البحر الأحمر فتحطم عدد من السفن، وهلك قسم من أفراد الحملة، وبعد استقراره في الميناء، فتكت الأمراض الناجمة عن سوء التغذية وقلة المؤونة والحر الشديد والإعياء بعدد كبير من قواته، واضطر أن يقضي بقية الصيف في ليوكي كومي، إذ لا يستطيع مواصلة السير برا في حر شديد. وفي ربيع عام 24 ق.م واصل زحفه إلى الجنوب العربي وبلغ نجران بعد خمسين يوما، وقد هلك معظم جنوده. فلم يكن تأثير يذكر للحملة من الناحية العسكرية، ولم تتمكن من الاستيلاء على أي جزء من الجنوب العربي، فشلت وعادت فلولها إلى مصر⁽²⁾. ومع ذلك فقد فتحت الطريق أمام التجارة الرومانية وتحول قسم من تجار البحر الأحمر إلى ميناء (ميوس هر موسى) المصري.

(1) جورج حوراني، المرجع نفسه، ص 78.

(2) عبد اللطيف احمد علي، مصر والامبراطورية الرومانية، دار النهضة، بيروت 1972م، ص 65، 66.

جورج حوراني، المرجع السابق، ص 78.

وفي عهد الامبراطور تراجان وهادريان وأسرة انطونيوس (98-192م) ظل الازدهار رائد التجارة بين البحر المتوسط والبلاد المطلة على المحيط الهندي. ولكي يحكم تراجان سيطرته على تجارة المشرق ضم في سنة 106م دولة الأنباط في جنوب الأردن إلى الامبراطورية الرومانية تحت اسم الولاية العربية، وسميت بلاد العرب الصخرية، Arabia Petrix أو Arabia Petraea وأصلح كل الطرق التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر، فعلى طرف لسانه الشرقي اهتم بأيلة وجعل منها ميناءً هاماً، وأنشأ طريقاً معبداً يربط أيلة على رأس الخليج إلى دمشق ماراً بالبراء ومادبا وعمان وجرش وبصرى، وبذا حلت أيلة محل ليوكي كومي ميناء الأنباط على البحر الأحمر⁽¹⁾. وعلى طرف اللسان الثاني للبحر الأحمر أصلح تراجان القناة القديمة التي أقامها البطالمة، وحفر أجزاء جديدة بها، وأنشأ ميناء القلزم Clysmas، وبذا ربطت قناة تراجان البحر الأحمر بالنيل ومدينة الإسكندرية، وتدل أعمال تراجان هذه على أن الملاحة في خليجي السويس والعقبة كانت مأمونة للسفن اليونانية والرومانية، وسبب هذا الأمن والاطمئنان وجود أسطول روماني في البحر الأحمر متأهب للضرب على أيدي القراصنة⁽²⁾.

إن تحول طرق التجارة عن تدمر ساعد على انتعاش الحركة التجارية في البحر الأحمر، وإبراز أيلة كميناء هام لسورية منه تنقل سلع الهند والصين والساحل الإفريقي والجنوب العربي إلى السواحل السورية على البحر المتوسط، وساعد هذا على ازدهار مدينة أيلة فهاجر قسم من التدمريين إليها، ففي عهد الامبراطور هادريان

(1) المرجع نفسه، ص 86.

(2) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 87.

(117-138م) كون الربانية التدمريون نقابة لهم في البحر الأحمر، وحظيت هذه النقابة باعتراف الامبراطور، وكانوا قوة ملاحية لها شأنها في تجارة البحر الأحمر⁽¹⁾.

وبقيت أيلة كمركز تجاري هام على فم خليج العقبة في عهد أسرة انطونيوس (138-192م)، فقد ازداد نشاط الدولة الرومانية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، فوصلت تجارتهم إلى سيلان والهند، وكانت السفن تفرغ حمولتها في أيلة والقلزم ومنها تنقل إلى موانئ البحر المتوسط وأوروبا. ومنذ القرن الثالث الميلادي بدأ الوجود الروماني يتضعف في البحر الأحمر بسبب اضمحلال الامبراطورية الرومانية من الناحية الاقتصادية، ولانقسام الامبراطورية سنة 395م إلى غربية وشرقية.

ولما ظهرت المسيحية وجدت لها في شرقي الأردن أرضا خصبة، فانتشرت في ربوعه بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وأخذ المسيحيون يشيدون الكنائس في كل مكان. وقد أولى البيزنطيون أيلة عناية خاصة بسبب أهميتها التجارية، وأصبحت مركزا أسقفيا، وخلال القرن الرابع والخامس والسادس الميلادي حضر أساقفة أيلة المجامع الكنسية، مجمع نيقية سنة 325م، ومجمع خلقدونية سنة 451م⁽²⁾، ومجمع القسطنطينية سنة 536م⁽³⁾.

وقد تطلع البيزنطيون إلى البحر الأحمر باعتباره الشريان التجاري الذي من خلاله يصلون إلى تجارة الهند والصين وإفريقية فوضعوه تحت سيطرتهم المباشرة

(1) المرجع نفسه، ص 87.

(2) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص

196 Robert, The Holy Land, P. 43

موصول: دائرة المعارف الإسلامية، مقالة (أيلة).

(3) Vasiliev, Op. Cit. P. 366

بسبب محاولات الفرس التدخل في تجارته. فقد كان الفرس يحكمون سيطرتهم على الطريقين البري المار من وسط آسيا، والبحري القادم من الخليج العربي. لذا كان الصراع قويا بين هاتين الدولتين، صراع ديني بين المسيحية والمزدكية، وصراع سياسي وتجاري يهدف إلى السيطرة على طرق التجارة الدولية والمناطق الإستراتيجية الهامة في الشام وجنوب الجزيرة العربية. ولكي يحكم البيزنطيون سيطرتهم على الملاحة المتجهة إلى القلزم وأيلة، أنشأوا ديوانا للمكوس على (جوتابا) في مدخل الخليج الجنوبي لتمكيس السفن القادمة من الجنوب⁽¹⁾.

وفي أواسط القرن الخامس الميلادي ضعفت السيطرة البيزنطية على الأجزاء الشمالية من الحجاز وسيناء، مما دعا القبائل العربية إلى التمرد على السلطة المركزية ورفضها للحكم البيزنطي، فأغارت على المراكز الحضرية في جنوب الأردن وفلسطين. وبلغ التحدي العربي للدولة البيزنطية حدا جعل اموركيزوس Amorkesos العربي (ربما عمرو بن قيس) يعلن الثورة ويحاول الاستقلال في تلك الأجزاء المحيطة بخليج العقبة⁽²⁾. وفي سنة 473م استولى اموركيزوس في عهد الامبراطور ليو الأول Leo 1 على جزيرة جوتابا فتحكم في مدخل خليجي العقبة والسويس، وأبعد الضباط الإغريق من دار المكوس، وصار يجمع الضرائب من السفن المارة باتجاه القلزم وأيلة⁽³⁾.

(1) Ibid, P. 365

(2) Ibid, P. 365

(3) Ibid, P. 365

وقد تجمعت لديه ثروة طائلة حتى أنه أرسل بطرس Peter أسقف جوتابا وهو من أصل عربي إلى القسطنطينية للتباحث مع الامبراطور في حالته الخاصة⁽¹⁾. ونتيجة لذلك استدعاه الامبراطور ليو الأول، فسافر اموركيزوس إلى القسطنطينية، فأغدق عليه الامبراطور بمظاهر الحفاوة والتكريم، وأجلسه معه على الطاولة الامبراطورية وحضر اجتماعا لمجلس الشعب، ومنحه ألقاب التشریف، ثم تنازل له رسميا عن ملكية جزيرة جوتابا ومنحه لقب فيلارخ⁽²⁾ Phylarch وبقيت هذه الإمارة العربية تتمتع باستقلال ذاتي حتى سنة 498م فقد تمكن الامبراطور انستاسيوس الأول (491-518م) من إعادة هيبة الدولة في تلك الأنحاء واستعادة جزيرة جوتابا والقضاء على هذه الإمارة العربية التي تمتعت بشيء من الاستقلال الذاتي لمدة خمسة عشر عاما⁽³⁾.

وقد نشب القتال بين بيزنطة وفارس في عهد الامبراطور انستاسيوس الأول، والظاهر أن النفوذ الفارسي وصل إلى خليج العقبة وسيناء، فذكر ياقوت: «أن يقدر الذي ملك الفرس سار في سنة 509م إلى بلاد ربيعة من طيء في الشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى، ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بقرب وادي موسى، فعمره ورتب فيه رجاله وأبطل السفر إلى مصر من الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن»⁽⁴⁾. ولا شك أن الفرس في حربهم ضد البيزنطيين كانوا يعملون على إبعادها عن شرايين التجارة الدولية وحرمانها من تجارة البحر الأحمر،

(1) Ibid, P. 366

(2) Ibid, P. 366

إبراهيم العدوي، الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص 8.

(3) Ibid, P. 366

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 332.

فعملوا في مداخله الجنوبية، أما في الشمال فقد حاولوا إحكام سيطرتهم على رأس خليج العقبة والطريق البري المار من الجنوب باتجاه مصر والشام، فأنشأوا حصن الشوبك لهذه الغاية ولكن الوجود الفارسي في جنوب الأردن الحالية لم يطل فقد عقد الصلح بين الطرفين فعادت السيادة البيزنطية لتلك الأصقاع.

وجوتابا هي جزيرة تيران الحالية، تبلغ 14 كم طولاً و7 كم عرضاً، وكانت تتبع كنسياً إلى بطريركية القدس، التي تشتمل على المقاطعات الفلسطينية الثلاثة. ففي العصر البيزنطي كانت جوتابا ضمن مقاطعة فلسطين Tertia وهي أبعد نقطة جنوبية لبطريركية القدس، وحضر أساقفة هذه المقاطعة الأربعة مجمع خلقيدونيا سنة 451م وهم أسقف أيلة، وأسقف زورا، وأسقف جوتابا، وهناك توقيع يقول ماركيانوس Marcianus الأكثر تبجيلاً أسقف جوتابا⁽¹⁾. ومن الأساقفة الذين تقلدوا جوتابا: بطرس Peter وماركيانوس Marcianus وانستاسيوس Anastasius الذي مثل جوتابا في مجمع القدس الذي عقد عام 536م ورشح اسمه لحضور المجمع الكنسي الذي عقد في القسطنطينية في نفس السنة⁽²⁾.

(1) Vasiliev, Op. Cit. P. 366

وهناك شك في أن جزيرة جوتابا هي جزيرة تيران الحالية، فقد قامت بعثة أثرية من الجامعة العبرية سنة 1956م وأجرت كشوفاً في تلك الجزيرة، ولكنها لم تجد أية آثار بيزنطية. وكان M. Bourdon قد زار تيران في سنة 1914م ولم يجد فيها آثار بناء أو حتى بقايا فخار. ومن المعتقد أن جوتابا ربما تكون جزيرة لي جري (فرعون الحالية) التي تبعد 12 كم جنوبي العقبة.

Encyclopidia of Jewish, Article, Jotabah, Vasiliev, Op. Cit. P. 367

(2) Ibid, P. 366

ظلت جوتابا محطة تجارية وديوانا هاما للمكوس حتى عهد الامبراطور جستين الأول (518-527م)، وكان المتحصل منه له أثره في الاقتصاد البيزنطي⁽¹⁾. وبلغ عدد السفن التجارية في البحر الأحمر في عهد جستين 60 سفينة موزعة كما يلي:

15 مركبا في أيلة

20 مركبا في القلزم

7 مراكب في جوتابا

7 مراكب في ارخبيل جزر فرسان

2 مركبان في بيرونيك Beronice في البحر الأحمر

9 مراكب في الهند⁽²⁾

وخلال حكم جستين الأول فإن الحرب التي نشبت بين الأحباش والحميريين سنة (525-526م) كان لها أثرها على التجارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وقد استغل الفرس هذه الأحداث فزادوا من نشاطهم وتجارتهم في المحيط الهندي⁽³⁾. ولم تكن حرب الأحباش مع الحميريين قاصرة على ازدياد نفوذ الأحباش في الجنوب العربي وامتداد أملاكهم عبر البحر، وازدياد النفوذ المسيحي في تلك البلاد، بل امتدت لتشمل الناحية الاقتصادية، فلقد أثرت الحرب في حركة ونشاط التجارة عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي والشواطئ الإفريقية، وزادت من نشاط

(1) Ibid, P. 367

(2) Ibid, P. 376

(3) Ibid, P. 371

تجار الفرس⁽¹⁾. ولن ننسى محاولة البيزنطيين بسط نفوذهم السياسي على بلاد العرب واليمن والحجاز عن طريق حلفائهم الأحباش وذلك عندما قام أبرهة الحبشي بغزو مكة عام الفيل ولكن جيشه أصيب بكارثة وفشلت اكسوم وبيزنطة في تحقيق أهدافهما⁽²⁾.

عمل جستنيان (527-565م) على إحياء الطريق التجاري عبر البحر الأحمر وزيادة سيطرته على تجارة الشرق، ومن الملاحظ أن الغساسنة في هذه الفترة كانت لهم اليد الطولى في جنوب الشام، وقدموا خدمات كبيرة للدولة البيزنطية، وقاموا بنفس الدور الذي كان للأنباط في حماية الطرق التجارية القادمة من الجنوب العربي ومنع الفوضى ونشر الأمن والاطمئنان في ربوع البلاد، فاستخدم البيزنطيون القوة الغسانية ضد خصومهم الفرس والثائرين في الداخل، ففي سنة 529م قام الحارث ابن جبلة الغساني بقمع ثورة السامريين لحساب الدولة البيزنطية⁽³⁾، وكان النفوذ الغساني قد امتد من دمشق إلى أيلة، فهذا حسان بن ثابت يمدح ملكين من ملوك الغساسنة هما عمرو وحجر اللذان ملكا أيلة إلى جبل الثلج⁽⁴⁾. وتحقيقاً لرغبة جستنيان هذه اقام البيزنطيون علاقات قوية مع الحبشة (مملكة اكسوم)⁽⁵⁾.

(1) Ibid, P. 371

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 49-57.

عبد العزيز سالم، الدولة العربية، ص 83-88، يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص 128.

وانظر: Narayan, Oman and Gulf Security, 1979, P. 69

(3) نولدكة، أمراء غسان، ص 10.

(4) نشوان بن سعيد، منتخبات من أخبار اليمن، ص 5.

(5) Ostrogorsky, History of the Byzantine State, P. 75

Grant, Op. Cit. P. 48

ولكن الدولتين فشلتا في تحطيم سيطرة الفرس على المحيط الهندي، إزاء ذلك كان لا بد من الصدام العسكري بين القوتين الأعظم بيزنطة وفارس⁽¹⁾. وعندما عقد الصلح بين الطرفين سنة 532م عادت التجارة الشرقية تصل إلى بيزنطة عبر موانئها في القلزم وأيلة، وبقي ديوان المكوس في جوتابا يؤدي عمله.

ولكن الدولة البيزنطية بدأت تضعف بعد جستينيان، نتيجة لظروفها الداخلية وحروبها مع الآفار والصقالبة والفرس، مما دعا بعض أباطرتها إلى دفع الجزية للفرس مقابل السلم. ثم أن الصراع على السلطة أنهك الامبراطورية البيزنطية، فقد ثار القائد فوقاس ودخل القسطنطينية فهرب الامبراطور موريق إلى نيقوميديا، وطلب المساعدة من ابرويز كسرى فارس. ولكن فوقاس ذبح موريق وأسرته، عندئذ هاجم ابرويز كسرى البلاد الشرقية التابعة للامبراطورية البيزنطية، وتغلب على البيزنطيين سنة 604م واتجهت جيوشه إلى ارمينية وسوريا وفلسطين تقتل وتدمر كل ما تواجهه من تجمعات عمرانية وحضارية⁽²⁾.

أزاء ذلك ثار القائد البيزنطي هرقل والي إفريقيا، وأعلن الثورة على فوقاس، فوجد التأييد من زعماء بيزنطة وقوادها وطلبوا منه القدوم إلى القسطنطينية، ولكنه كان طاعنا في السن فأرسل ابنه الصغير هرقل بأسطول إلى القسطنطينية، فاستولى عليها بمساعدة من شعبها الغاضب على فوقاس، فسلم هرقل فوقاس للشعب فقتلوه في 15 تشرين أول (أكتوبر) 610م وفي نفس اليوم توج الشاب هرقل امبراطورا للامبراطورية البيزنطية.

(1) Haussig, A history of Byzantine Civilization, P. 62

(2) عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، 1970م، ص 64.

عانت الدولة البيزنطية الكثير في عهد هرقل، وكان الخطر الفارسي محدقا بها، فاستولوا على ارمينية وسوريا ومصر، ودخلوا الإسكندرية في سنة 619م. ولكن المد الفارسي توقف أمام هجمات هرقل فأوقع بهم في عقر دارهم وهزمهم هزيمة نكراء سنة 627م وكاد يدخل عاصمتهم (طيسفون) مما دعا الفرس إلى الثورة على ابرويز فأطاحوا به، وتولى الملك ابنه كسرى شيرويه في 28 شباط (فبراير) 628م فبادر شيرويه الكتابة إلى هرقل طالبا الصلح، وفعلا تم الصلح بين الطرفين على أن يعودا إلى الحدود القديمة، وكان ذلك سنة 630م. وما كاد هرقل ينتهي من خطر الفرس حتى واجهه مدا جديدا هو المد العربي الإسلامي من الحجاز.

الفصل الثاني

أيلة (العقبة) في العصر الإسلامي

- 1- في عصر الرسول والخلفاء الراشدين
- 2- في العصر الأموي والعباسي
- 3- في العصر الأيوبي وفترة الصراع الصليبي في الشام
- 4- حملات أرناط للجنوب العربي والحجاز
 - أ- الحملة الأولى
 - ب- الحملة الثانية
- 5- في العصر المملوكي

1- في عصر الرسول والخلفاء الراشدين

كانت السيادة قبل ظهور الإسلام لعرب الشمال والجنوب، ولكن سلطان هذه الإمارات بدأ يتلاشى مع ظهور الإسلام، فحمير خضعت سياسياً لدول غير عربية حتى مجيء الإسلام، الأحباش أولاً وحلفاءهم البيزنطيون، والفرس ثانياً، الذين تولوا زمام حمير منذ سنة 570م حتى جاء الإسلام⁽¹⁾. أما في الشمال فكانت مملكتا غسان والحيرة، وبسبب ظروفهم الجغرافية ارتبطت حياتهم بتجارة القوافل القادمة من الخليج والجنوب العربي إلى الشمال، حاملة ثروات إفريقية وآسيا إلى الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية اللتين كانتا تسيطران على الشرقين الأدنى والأوسط في ذلك الوقت⁽²⁾.

أما عرب الوسط فلم يتمكن الأحباش من السيطرة عليهم، فقد فشلت حملة أبرهة إلى مكة، وبذلك بقي عرب الحجاز وسطاء التجارة البرية عبر ساحل تهامة والحجاز، فكانت قريش العدنانية تقوم برحلتها الشتاء والصيف إلى الجنوب العربي والشام حاملة سلع المشرق والجنوب العربي والساحل الإفريقي حيث تفرغها في بصرى أو غزة، وفي المقابل تنقل سلع الشام وبيزنطة إلى الجنوب العربي ومنها إلى

(1) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 105.

(2) نولدكه، أمراء غسان، ترجمة بندلي حوزي وقسطنطين زريق، بيروت، 1933، ص 11، جورج حوراني، نفس المرجع، ص 105.

الهند والصين. وهكذا استفاد عرب الوسط من ضعف عرب الشمال والجنوب فزادت ثرواتهم، وأصبحت مكة مركزا تجاريا هاما في وسط الحجاز، ومنطلق إشعاع حضاري في الجزيرة العربية.

إذن علاقات قريش والحجاز بالشام كانت وثيقة الصلة منذ القدم، بل زادت في القرنين السادس والسابع الميلاديين. وكانت أيلة في قمة خليج العقبة تقوم بدور نشط في حركة التجارة الشرقية، ودليل ذلك ما نص عليه كتاب الأمان الذي منحه الرسول (ﷺ) لأيلة ف جاء فيه: «هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنته بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن وأهل البحر⁽¹⁾». فمن النص السابق نرى أن أيلة ما زالت حتى عهد الرسول (ﷺ) تمارس نشاطها التجاري وملاحتها في البحر الأحمر، وأن التجار يرتادونها بدليل أن كتاب الأمان شمل من كان بها من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر أي أولئك الذين قدموا إليها من المحيط الهندي والسواحل الشرقية لإفريقية. فالخط الملاحي والحركة التجارية لأيلة كانت لا تزال مستمرة حتى سنة 9 هـ (630م)، أضف إلى ذلك أن كتاب الأمان أعطاهم حرية التنقل في الطرق البرية والبحرية معا فهو يقول: «وأنه لا يمل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر⁽²⁾»، بمعنى أن الرسول منح أهل أيلة حرية التنقل في الطرق البرية عبر الحجاز، والطريق البحرية عبر البحر الأحمر التي كان معظمها تحت سيطرة المسلمين.

(1) محمد حميد الله الحيدري، مجموعة الوثائق السياسية، ص 34.

وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج 2، ص 280.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ص 71.

محمد حميد الله الحيدري، المصدر نفسه، ص 34.

والواقع أن الرسول (ﷺ) عرف القيمة الإستراتيجية والاقتصادية التي تتمتع بها مدينة أيلة، باعتبارها حلقة وصل وربط بين الشام والديار المصرية، بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية لكونها إحدى الثغور البارزة في تجارة البحر الأحمر والملاحة فيه. لذا فالرسول (ﷺ) ركز على هذه الناحية في كتابه المرسل إلى أسقف أيلة وأهلها فقال: «فإن أردتم أن يأمن البر والبحر فأطع الله ورسوله⁽¹⁾».

وقد أدرك أسقف أيلة وأهلها أن مصلحتهم تكمن في أن تكون الطرق البرية المارة من مدينتهم آمنة مع حرية الملاحة والتجارة في البحر الأحمر والجنوب العربي. لذا جنحوا إلى السلم مقابل 300 دينار يدفعونها سنويا، مع تقديمهم الطعام لمن يمر بهم من المسلمين سواء في طريقه إلى الشام أو العكس⁽²⁾، ويعنى هذا عدم اعتراضهم أو الإساءة إليهم وتقديم كل مساعدة ممكنة إليهم.

ومما تجدر ملاحظته أن منطقة جنوب الأردن كانت السبابة إلى تفهم الإسلام والدخول فيه فهذا فروة بن عمرو الجذامي عامل الروم على مدينة معان يرسل رسالة إلى الرسول (ﷺ) مع مسعود بن سعد معلنا إسلامه قائلا:

«لمحمد رسول الله إني مقر بالإسلام مصدق به، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أنت الذي بشر بك عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام⁽³⁾».

(1) محمد حميد الله الحيدري، مجموعة الوثائق السياسية، ص 71.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 71.

وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج 2، ص 280.

(3) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج 1، ص 281.

محمد حميد الله الحيدري، المصدر السابق، ص 40.

وأرسل مع رسوله هدية قبلها الرسول (ﷺ) وأرسل إليه كتابا هذا نصه:

«من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو: أما بعد فقد قدم علينا رسولك وبلغ ما أرسلت به وخبر عما قبلكم وأتانا بإسلامك، وأن الله هداك بهذه أن أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقامت الصلاة وأتيت الزكاة⁽¹⁾».

وهكذا كانت مدينة معان أول مدينة شامية دخل إليها الإسلام على يد عاملها فروة، ولما سمع الروم بذلك ألقوا القبض عليه وصلبوه على ماء يقال له عفرى⁽²⁾ - قرب الطفيلة الحالية-، فكان فروة والحالة هذه أول شهيد شامي في الإسلام.

وفي سنة 18 هـ (639م) أصاب جيش المسلمين طاعون عمواس وقتل عدد كبير من الجند والقادة، فسار الخليفة عمر بن الخطاب إلى الشام واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، واتخذ أيلة طريقا، فلما دنا منها استقبله أسقفها وأهلها، فأعطى عمر الأسقف قميصه ليغسله، فغسله وخاط له آخر غيره فرفض عمر لبسه. ثم واصل عمر سيره إلى الشام، فقسم الأرزاق والمواريث، وسمى الشواتي والصوائف واستعمل بعض الولاة وعزل غيرهم ثم عاد إلى المدينة⁽³⁾. وبعد فتنة عثمان ومقتله رحل عدد كبير من موالي بني أمية واستوطنوا أيلة ومعان، وكان لهم فضل كبير في تطور الحركة العلمية في مدينة أيلة وأصبحت مركزا من مراكز الحديث في مصر والشام.

(1) ابن سعد، طبقات، ج 1، ص 281.

محمد حميد الله، المصدر السابق، ص 40.

(2) ابن سعد، طبقات، ج 1، ص 281، 355، ج 7، ص 435، 436.

ابن الأثير، الكامل، ج 2، ص 297.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج 2، ص 561، 562.

2- في العصر الأموي والعباسي

كانت أيلة في العصر الأموي والعباسي ولاية على رأسها أمير، وممن ولي إمارتها حسين بن رسم الأيلي في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز⁽¹⁾، أما عن الأحداث السياسية فلم تشر المصادر إلى ما يثير الانتباه اللهم إلا قدوم محمد بن الحنفية إليها وسكنها فيها في فترة الصراع الذي نشب بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، فطلب منه ابن الزبير مغادرة مكة، فكتب إليه عبد الملك يطلب منه النزول في بلاده معززا مكرما. فاختر ابن الحنفية أيلة فنزلها ومعه سبعة آلاف رجل من أتباعه، اختارها لقربها من الحجاز والشام معا ولكي يكون قريبا من تطور الأحداث بين الزعيمين المتحاربين، ولرخص أسعارها. وقد أحب أهل أيلة محمد بن الحنفية وعظموه هو وأصحابه فهو يقول: «وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولا يظلم أحد من الناس قربنا ولا بحضرتنا⁽²⁾». إلا أن هذا الأمر شق على عبد الملك فأشار عليه خاصته بأن لا يدعه يقيم في جواره إلا إذا بايع له بالخلافة وإلا فليصرفه إلى الحجاز.

فكتب إليه عبد الملك بن مروان ما يلي:

«إنك قدمت بلادي فنزلت في طرف منها، وهذه الحرب بيني وبين ابن الزبير كما تعلم، وأنت لك ذكر ومكان، وقد رأيت أن لا تقيم في سلطاني إلا أن تباع لي، فإن

(1) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 128 .

(2) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج 1، ص 107.

بايعتني فخذ السفن التي قدمت علينا من القلزم وهي مائة مركب فهي لك وما فيها ولكن ألف ألف درهم أعجل لك منها خمسمائة ألف، وألف ألف وخمسمائة ألف آتيك مع ما أردت من فريضة لك ولولدك ولقربتك ومواليك ومن معك، وإن أبينت فتحول عن بلدي إلى موضع لا يكون لي فيه سلطان»⁽¹⁾.

فتسلم محمد بن الحنفية هذا الكتاب ورد عليه بالجواب التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن علي إلى عبد الملك بن مروان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد عرفت رأيي في هذا الأمر قديما، وإني لست أسفهه على أحد، والله لو اجتمعت هذه الأمة علي إلا أهل الزرقاء ما قاتلتهم أبدا ولا اعتزلتهم حتى يجتمعوا: نزلت مكة فرارا مما كان بالمدينة فجاورت ابن الزبير فأساء جواربي وأراد مني أن أبايعه فأبيت ذلك حتى يجتمع الناس عليك أو عليه، ثم أدخل فيما دخل فيه الناس، فأكون كرجل منهم، ثم كتبت إلي تدعوني إلى ما قبلك، فأقبلت سائرا فنزلت في طرف من أطرافك، والله ما عندي خلاف ومعني أصحابي فقلنا بلاد رخيصة الأسعار وندنو من جوارك ونتعرض لصلتك، فكتبت ما كتبت به، ونحن منصرفون عنك إن شاء الله»⁽²⁾.

فغادر ابن الحنفية أيلة إلى مكة ثم إلى الطائف وبقي هناك حتى مجيء الحجاج بن يوسف وقضائه على ابن الزبير، فعاد إلى مكة وبايع عبد الملك.

مما تقدم نرى أن الملاحة البحرية في أيلة ظلت كما كانت سابقا، وأن خطا ملاحيا ربط أيلة بالقلزم عن طريقه تأتي السلع المصرية إلى الشام وبالعكس،

(1) ابن سعد، طبقات، ج 1، ص 107.

(2) ابن سعد، طبقات، ج 1، ص 107.

بالإضافة إلى ربطها بالموانئ الحجازية فزاد ثراء سكانها، لذا عمد الخلفاء الأمويون إلى زيادة الجزية التي صولح أهل الذمة عليها واستمر الأمر كذلك حتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأبطل الزيادة وأبقاها كما كانت في عهد الرسول (ﷺ) وهي دينار على كل حالم⁽¹⁾.

واستمرت أيلة تؤدي دورها في تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي في العصر العباسي والفاطمي، ومنذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أصبحت أيلة تحت النفوذ الفاطمي، فأولاها الفاطميون عناية خاصة ووصفت آنذاك بأنها فرضة فلسطين على البحر الأحمر، إليها تأتي سلع الهند والجنوب العربي ومن ثم تنقل إلى الموانئ الفلسطينية في غزة ويافا وعكا، فالمقدسي الذي عاش في هذا القرن قال: «مدينة على طرف شعبة بحر الصين عامرة جلييلة ذات نخيل وأسماك، فرضة فلسطين وخزانة الحجاز»⁽²⁾، وكانت أرطالها ورسومها شامية، وإليها يجلب الشاميون سلعهم لتصديرها إلى مصر والحجاز والجنوب العربي والساحل الإفريقي والهند والصين، لذا بنى الفاطميون فيها ديوانا للمكوس، وذلك لتمكيس السلع القادمة والمصدرة عبر مينائها⁽³⁾.

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص 71.

فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص 291.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 178.

(3) ابن إياس، نشق الأزهار في عجيب الأقطار (لوحة 87 مخطوط).

يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ط 2، ص 63.

3- في العصر الأيوبي وفترة الصراع الصليبي في الشام

أما الدور السياسي الكبير الذي لعبته أيلة فكان في فترة الصراع الصليبي في المنطقة، فبعد أن كون الصليبيون مملكة بيت المقدس اللاتينية، حل جسم غريب في قلب الأمة العربية. فباستيلائهم على فلسطين جميعها لم يبق من وسيلة للاتصال بين الشام وبلاد الرافدين والشمال الإفريقي إلا عن طريق منطقة جنوب الأردن عبر أيلة. لذا عمد الصليبيون إلى احتلالها والإطلال على سواحل البحر الأحمر والتدخل في تجارته وتحويل جزء منها إلى مملكتهم، أضف إلى ذلك أن هدفهم كان قطع أي اتصال بين أجزاء الأمة العربية ومنع أي لقاء بين أقطاره وإبقائه متباعدا ليكونوا قريبين من الأماكن المقدسة في الحجاز ولتتحكموا في طريق الحجاج المسلمين. إذن عوامل متعددة اقتصادية وإستراتيجية ودينية دفعت الفرنج للسيطرة على أيلة ومنطقة جنوب الأردن.

ففي سنة 510هـ (1116م) اندفع بلدوين الأول بمئتين من فرسانه إلى البحر الأحمر وانتهى به المقام في أيلة فاستولى عليها بسهولة، إذ أن الحامية الفاطمية كانت ضعيفة فهربت بحرا بواسطة المراكب⁽¹⁾. وتذكر المصادر اللاتينية أن بلدوين بنى فيها قلعتين برية وبحرية في جزيرة فرعون Le Graye وشحنهما بالرجال والعتاد ثم عاد إلى القدس. ولنا وقفة عند ذلك، فالمؤرخ اللاتيني فوشيه دي شارتر مؤرخ

(1) Fulches of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem, P. 215

الحملة الصليبية الأولى لم يذكر شيئاً عن بنائه قلعة في أيلة، علماً بأنه ذكر معظم القلاع التي أقيمت في فلسطين والساحل الشامي، أما عن أيلة فيذكر أن بلدوين الأول وصلها في سنة (510هـ) 1116م فنظر في أحوال خليج العقبة وميناء أيلة ثم عاد إلى القدس عن طريق الشوبك بعد أن أقام في أيلة بضعة أيام فقط ولم يذكر شيئاً عن بناء قلعة هناك⁽¹⁾. فالوجود الفرنجي في أيلة بدأ منذ هذا التاريخ واستخدموا قلعة أيلة البرية الموجودة في العصور الإسلامية المختلفة، أما جزيرة فرعون فقلعتها رومانية بيزنطية استخدمها المسلمون في العصور المختلفة. إذن الوجود الفرنجي في أيلة تمثل في استيلائهم عليها واستخدامهم لقلعتها البرية والبحرية بعد إدخال بعض الترميمات والإصلاح فيهما، ولكنهم لم يبنوا القلعتين المذكورتين، تماماً كما حدث في قلعة الشوبك، فالقلعة موجودة كما أسلفنا، وكل ما فعله الصليبيون أنهم أعادوا إصلاح القلعة ثم شحنوها بالرجال والعتاد.

وهكذا أطل الصليبيون على ساحل البحر الأحمر وأصبحوا يسيطرون على الشريان التجاري القادم من الهند واليمن والساحل الإفريقي باتجاه العقبة، وأصبح الوجود الفرنجي في أيلة مصدر إزعاج وتهديد لتجارة البحر الأحمر وموانئ الحجاز، وصار لهم أسطول يتدخل في شؤون البحر الأحمر التجارية والاقتصادية⁽²⁾. وقد عبر صلاح الدين عن هذا الخطر برسالة فاضلية إلى الخليفة العباسي في بغداد جاء فيها: «ومنها قلعة بثغر أيلة كان العدو قد بناها في بحر الهند وهو المسلوك منه إلى الحرمين واليمن، وغزا ساحل الحرم، فسبى منه خلقاً، وخرق الكفر في ذلك الجانب خرقاً،

(1) Ibid, P. 217

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 294.

وكادت القبلة أن يستولى على أصلها ومساجد الله أن يسكنها غير أهلها»⁽¹⁾. لذا عمل صلاح الدين على إنهاء الوجود الفرنجي في البحر الأحمر، فبنى المراكب في دور صناعة الفسطاط ثم نقلها على الجمال إلى أيلة، فأعاد تركيبها وحاصرت قواته القلعتين البرية والبحرية حتى تمكنت منهما سنة 566هـ (1170م)⁽²⁾ وهكذا زال الخطر الصليبي من البحر الأحمر والتدخل في تجارته وتهديد المقدسات في الحجاز، وتحكمه في طرق الاتصالات والمواصلات البرية بين مصر والشام وبلاد الرافدين والجزيرة العربية.

ولكن الأطماع الصليبية في تجارة البحر الأحمر والسيطرة على اليمن والحجاز، ظلت هدفاً عملوا جاهدين من أجل تحقيقه، فقام أرناط (رينودي شاتيون) صاحب بارونية الكرك بحملتين صليبيتين إلى البحر الأحمر والجنوب العربي والحجاز، مستهدفاً السيطرة على تجارة المشرق والعبث في هذا الشريان الحيوي، والاستيلاء على المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة.

(1) ابن واصل، المصدر السابق، ج 2، ص 486-493.

القلقشندي، صبح الأعشى، ج 13، ص 81-90.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 214.

البنداري، سنا البرق الشامي، ج 1، ص 109.

ابن واصل، المصدر السابق، ج 1، ص 198.

4- حملات أرناط للجنوب العربي والحجاز

أ- الحملة الأولى في سنة 577 هـ (1181م):

كان أرناط بحق من أشد قادة الفرنج عداوة للمسلمين⁽¹⁾، فقد تمكن منه الحقد وتأصلت في نفسه الكراهية ضد المسلمين، وراعه أن يرى القوافل التجارية الغنية تسير بجانب إقطاعه محملة بأنواع البضائع تجوب بلاد العرب من أقصى الجنوب إلى الشمال ومن مصر إلى بلاد الرافدين تمر بسلام، فدفعه حقه إلى نقض المعاهدة المعقودة بينه وبين المسلمين مستغلا بذلك عودة صلاح الدين إلى القاهرة، فجمع جموعه، ولم يكلف نفسه حمل العلف لخيوله معتمدا على البرية الخضراء المعشوشبة، كما استغل رطوبة الجو واعتداله وكثرة مياه الأمطار التي تغنيه عن حمل المياه وبدأ عدوانه. ففي رجب 577 هـ (ديسمبر (كانون أول) 1181م) اندفع وراء قافلة تجارية كانت تسير من دمشق إلى مكة وتمكن من الظفر بها عند تيماء⁽²⁾ «دهليز

(1) ابن الأثير: الكامل، ج 11، ص 470.

(2) أبو شامة: الروضتين، ج 2، ص 23- ابن الوردي: تنمة المختصر، ج 2، ص 90
رانسمان: ج 2، ص 697.

Rosebault, Saladin Prince of Chivalry, London, 1930, P. 103.

Setton, A History of the Crusades, Vol. 1, P. 581.

Morrison, Les Croisades, P. 45.

هاملتون جب: صلاح الدين، ص 142.

تيماء: بليدة في أطراف الشام، بين وادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق، (ياقوت: معجم البلدان، ج 1، ص 907).

المدينة»⁽¹⁾ ونهبها وأسر من تمكن من أسره، ولم يكتف بذلك بل سار إلى المدينة المنورة، وكان يقصد بذلك الاستيلاء على تلك النواحي ونهب المسجد النبوي والاستيلاء على ما فيه من كنوز وذخائر، إلا أن نائب صلاح الدين بدمشق ابن أخيه عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب جمع الجند وسار بهم مسرعاً إلى إمارة الكرك، وأخذ ينهب ويدمر كل ما في طريقه.

علم أرناط بما قام به عز الدين فرخشاه، فأسرع بالعودة إلى الكرك يحمل معه الغنائم والأسرى والأسلاب، وأسفرت حملته عن فشل ذريع في بلوغ هدفه والسيطرة على الأراضي المقدسة وفي ذلك يقول ابن الوردي:

قصده البرنس مكيده عظمت

فانحاز عنها خاسرا خاسي

أيخاف خير الخلق من أحد

والله يعصمه من الناس⁽²⁾

ولما تأكد عز الدين من عودته وابتعاد خطرته عن أرض الحجاز عاد إلى دمشق.

وأثناء ذلك توفي الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي في حلب، وذلك في رجب 577هـ (ديسمبر (كانون أول) 1181م)، بعد أن أوصى بملك حلب إلى ابن

(1) ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 110.

(2) ابن الوردي: تتممة المختصر، ج2، ص 90.

عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل، وهذا بدوره ملكها لأخيه عماد الدين زنكي بن مودود مقابل تخليه عن سنجار⁽¹⁾، وخشي صلاح الدين من اتحاد حلب مع الموصل من جديد⁽²⁾، فذلك من شأنه أن يصدع الجبهة الإسلامية التي جهد في توحيدها، لذا أسرع بالسير إلى دمشق في مستهل عام 578هـ (مايو (أيار) 1182م) مودعا مصر للمرة الأخيرة، إذ قدر له أن يقضي بقية سني حياته بعيدا مجاهدا في أرض الشام.

ولما علم أرناط بسير السلطان صلاح الدين حشد جموعه وكمن له في الطريق لينقض عليه بقواته، وكان قد نمي إليه أن برفقة صلاح الدين خلق كثير من التجار. وقد حاول أرناط انتهاز الفرصة «فيقتطفون من القافلة قطفة»⁽³⁾. إلا أن صلاح الدين أحس بما دبره له أرناط فقسم قواته إلى قسمين، الأول جعله تحت قيادة أخيه تاج الملوك بوري وأمره أن يسير في الطريق المار على حافة الصحراء إلى يمين الكرك فمعان فالجفر فباير على أن يصحب معه التجار ليكونوا في حمايته، وتواعد معه على اللقاء بالأزرق. أما صلاح الدين فصار بقواته إلى وادي موسى

(1) سنجار: مدينة من ديار ربيعة بالجزيرة الفراتية، تقع جنوبي نصيبين، وكانت من أحسن المدن وجبلها من أخصب الجبال، وهي في الغرب من الموصل على ثلاث مراحل عنها، لها قلعة وبساتين كثيرة (القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 322).

(2) ابن الأثير: الكامل، ج11، ص 470 - ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 226. ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج3، ص 71 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 101-102 - أبو الفداء: المختصر، ج3، ص 66 - ابن الوردي: تنمة المختصر، ج2، ص 90 - ابن خلدون: العبر، ج5، ص 295 - المقرئ: السلوك، ج1، ص 72.

(3) أبو شامية: الروضتين، ج2، ص 28.

فالقريتين⁽¹⁾ «القرين الحالية» والحسا شرقي قوات أرناط⁽²⁾ ولم يلاق أية مشقة، فأخذ يتلف ما في طريقه من محصولات العدو⁽³⁾ والتقى بأخيه بعد أسبوع في الأزرق، ومن هناك واصل السير إلى دمشق فوصلها بأمان في صفر 578هـ (يونيو (حزيران) 1182م)⁽⁴⁾.

وكانت مملكة بيت المقدس – أثناء ترصد قوات الفرنج بقيادة أرناط في الكرك لصالح الدين – قد أصبحت دون حماية، فاستغل فرخشاه الفرصة وأغار على بلاد طبرية وعكا وفتح قلعة حابس جلدك⁽⁵⁾ الإستراتيجية المتحكمة بوادي اليرموك،

(1) القريتين: قرية كبيرة مشهورة من قرى حمص من جهة البرية، يذكر ياقوت أن أهلها نصارى، ذات أشجار وأنهار (ياقوت: المشترك وصفاء، ص 344).

ونستدل من ورود اسم القريتين قريبا من الكرك بمناسبة قيام صلاح الدين بمحاصرة حصني الكرك والشوبك في سنة 583هـ (1187م) «ويقول العماد الكاتب في الفتح القيسي، ص 58-59 ووصل عسكر مصر فتلقيه بالقريتين وفرقة على أعمال القلعتين». على أن القريتين المذكورة والتي ورد ذكرها في الفتح القيسي غير القريتين التي ذكرها ياقوت. ولكنني بالبحث في معجم ياقوت ألفت موضعاً يعرف «بالقرنين» ذكر فيه أنها «ثنية قرين» في بادية الشام (معجم البلدان، ج4، ص 80).

ونستنتج من ذلك أن الاسم الصحيح الذي ورد خطأ في الفتح القيسي هو «القرنين» وليس «القريتين»، أي أن الخطأ في التنقيط فقط. وما زال هذا الموضع يعرف حتى اليوم باسم «القرين»، وهي إحدى قرى معان إلى الشمال الغربي منها جنوبي البتراء (انظر الخريطة).

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج2، ص 235 – أبو شامة: الروضتين، ج2، ص 28.

Schumberger , Renaud de Chatillon, P. 196. – King : The Kinghts Hospitallers, P. 111

(3) ابن الأثير، الكامل، ج 11، ص 478 – رانسمان: ج2، ص 698.

(4) Stevenson, Op. Cit. P. 225.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج 11، ص 479 – ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 227

العمرى: مسالك الأبصار، ج16، قسم 2: لوحة 367 «مخطوطة» .

Stevenson, Op. Cit. P. 226.

وقفل عائدا يجبر وراءه ألف أسير وعشرين ألف رأس من الأغنام⁽¹⁾.

ثم أرسل صلاح الدين إلى بلدوين الرابع ملك بيت المقدس يطلب منه أسرى المسلمين والتعويض عما سلبه أرناط من قافلة تيماء، لكن الملك لم يكن ليستطيع شيئا لضعف مركزه أمام أرناط⁽²⁾ مع علمه بعدالة مطالب صلاح الدين. وهكذا اعتبر صلاح الدين الهدنة لاغية⁽³⁾، وأصبحت الحرب أمرا لا مفر منه، ومع ذلك لم يبادر صلاح الدين بتوجيه ضربة شديدة لأرناط وتأديبه، فأحوال الشام لم تكن لتساعده على ذلك، طالما أن الأمور لا تزال مضطربة في حلب والموصل. ثم أنه كان يتحتم عليه قبل المضي في الجهاد الأعظم أن يزيل عوامل الانقسام ويعمل على تدعيم الجبهة الإسلامية ليتمكن من مواصلة جهاده بأمن واطمئنان، لذلك لجأ إلى أسلوب المهادنة مع أرناط بانتظار اللحظة المواتية للانقضاض عليه، فراه يبذل له الأموال حتى يجعل طريق الاتصال عبر الأردن متصلا بين شقي دولته مصر والشام وفي ذلك يقول ابن آبيك: «كان السلطان صلاح الدين رحمه الله قد اصططح مع الابريز⁽⁴⁾ صاحب الكرك، وكان يعطي الافرنج شيئا كثيرا لا يعلم له قيمة، ويصانعهم فيما بينه وبينهم، ويجتهد بكتمان ذلك، لا يسمع عنه أنه يصانع عن نفسه وعن بلاده. ووقع الصلح بينهم إلى وقت معين، بشرط أن المسافرين يسافرون والقفول لا تنقطع

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص 235 - أبو شامة: الروضتين، ج2، ص 28 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 113-115 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص 310-311 - المقرئ: السلوك، ج1، ص 77 - رانسمان: ج2، ص 698.

(2) Guillaume De Tyr, Vol. 1. P. 1088

(3) رانسمان: ج2، ص 697. Schlumberger, Renaud de Chatillon, P. 190.

(4) الابريز: لعلها الابرنز «أي البرنس».

والتجار لا تتعوق من الشام إلى مصر⁽¹⁾، ثم سار صلاح الدين بقواته إلى حلب والموصل ليقر أمورها.

ب- الحملة الثانية في 578هـ (1182م) :

استغل أرناط الظروف غير العادية التي انتهت إليها دولة صلاح الدين في أعقاب وفاة الملك الصالح واشتغاله بتوحيد الجبهة الإسلامية، وقام بأجرأ حملة صليبية وأخطرها منذ بداية الحركة الصليبية. وذلك بغزو الأراضي المقدسة مكة والمدينة، ومحاولة الوصول إلى عدن للسيطرة على تجارة البحر الأحمر. لاشك أن عمل أرناط هذا كان حلما قديما طالما راود الغزاة منذ قرون عديدة أو أنه حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب، فقد سبق أن تعرضت منطقة الحجاز واليمن لهجمتين استعماريتين في العصر الروماني، كانت أولاهما تلك الحملة الرومانية البرية التي قادها اليوس جاليوس سنة 25 ق.م. مستهدفة اليمن، ولكنها تعرضت للفشل، وتبددت آمال الرومان في السيطرة على اليمن والحجاز⁽²⁾ وقصروا همهم للسيطرة على تجارة البحر الأحمر من خلال معاهدات عقدوها مع الحميريين⁽³⁾. ثم كانت الحملة الثانية في العهد البيزنطي عندما حاول البيزنطيون السيطرة على التجارة الموصلة إلى المحيط الهندي وبسط⁽⁴⁾ نفوذهم السياسي على بلاد العرب واليمن والحجاز عن طريق حلفائهم الأحباش، فاحتلت الحبشة اليمن سنة 525م، واكتمل

(1) ابن أبيك: كنز الدرر، ج7، ص 50-51.

(2) نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت 1962، ص 217.

(3) السيد عبد العزيز سالم: الدولة العربية، ص 110.

(4) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 60.

الصراع عندما قام أبرهة الحبشي بغزو مكة في عام الفيل، ولكن جيشه أصيب بكارثة⁽¹⁾.

ومن المعروف أن الصليبيين فطنوا إلى أهمية البحر الأحمر كشريان رئيسي للتجارة العالمية، وكانوا يتحكمون في مدخله الشمالي باحتلالهم أيلة "العقبة" سنة 510هـ (1116م). فاهتموا بإنشاء أسطول يهاجمون به سواحل الحجاز والأراضي المقدسة ويضايقون تجارة البحر الأحمر، وقد وجه صلاح الدين ضربه الأولى إليهم باحتلاله أيلة سنة 566هـ (1170م) ثم احتلاله اليمن سنة 569هـ (1174م). إلا أن أرنات أخذ يعمل على إعادة الوجود الصليبي في البحر الأحمر لعلمه مدى الفائدة التي ستعود على الصليبيين إذا سيطروا عليه. ولهذا أعد حملة في شتاء 577هـ (1181م)، وآثر أن يكون ذلك في فصل الشتاء حتى لا تتعرض قواته إلى قسوة الصحراء.

ومع ذلك فقد أخفقت حملته لطول الطريق وبعد خطوط إمداداته. وقسوة الطبيعة من حوله ولمضايقة المسلمين لإمارته وتعقبهم لقواته، فوصل تيماء ونهب قافلة تجارية وعاد ولم يحقق هدفه. ولكنه استفاد من تلك الحملة، فقد ألم بطبيعة بلاد العرب وأدرك أن الأمر جدير بمعاودة الكرة من أخرى.

ومهد أرنات لحملته المقبلة بمناوشات حاول خلالها اعتراض أيلة، ولكن حامية أيلة فوتت عليه الغرض، واستعصى عليه السيطرة عليها⁽²⁾ عندئذ أعاد أرنات مراكب

(1) السيد عبد العزيز سالم: نفس المرجع، ص 75.

ابن هشام: السيرة النبوية، ج 1، ص 49-57 - وعن حملة أبرهة لمكة وأبعادها.

راجع: السيد عبد العزيز سالم: الدولة العربية، ص 83-88.

(2) أبو شامة: الروضتين، ج 2، ص 35 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 127.

مفصلة من أخشاب غابات الكرك وعهد بها إلى الصنّاع في الكرك وعسقلان⁽¹⁾ وجرب قسما منها في البحر الميت ثم نقلها على ظهور الجمال إلى خليج العقبة، فقام الصنّاع بتركيبها وإعدادها، وتمكن من إعداد وحدة من السفن تتألف من خمسة غربان وعدد كبير من المراكب الصغيرة⁽²⁾، وشحنها بعدد من الرجال والمقاتلة يبلغ ألفا وخمسمائة مقاتل⁽³⁾، وأبحر بها في عام 578هـ نهاية عام (1182م). فهاجم مدينة أيلة ففتحها⁽⁴⁾ ثم حاول اقتحام جزيرة فرعون مفتاح خليج العقبة ولكنه فشل في بلوغ

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص 155.

Conder, The Latin Kingdom, P. 140.

Praver, The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972, P. 71.

رانسمان: ج 2، ص 706 – عبد الرحمن زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي، ج 1، ص 120.

(2) Conder, The Latin Kingdom, P. 141.

غربان: أو أغربة مفردها غراب، من المراكب الحربية الشديدة البأس التي استعملها المسلمون والفرنج في العصور الوسطى في الغارة والغزو عن طريق البحر، وهي معروفة منذ القدم، إذ عرفها القرطاجيون والرومانيون وغيرهم من أمم تلك العصور. والغراب كان يعرف أيضا بالشيني وجمعها شواني – وسميت بالغراب لأنها كانت تطلق بالقار، وكان لها قلوب بيضاء فهي في ذلك تشبه الغربان أو لعلها سميت كذلك بسبب شكل مقدمة هيكلها التي على شكل غراب. وتسير الغربان بالقلوع والمجاديف التي تبلغ بين مائة وثمانين ومائة وأربعين مجدافا، ويحمل الغراب نحو مائتي مقاتل (درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، إسكندرية 1974م، ص 104).

(3) ابن أبي الدم: التاريخ المظفري، لوحة 211 "مخطوطة".

(4) رانسمان: ج 2، ص 706.

Lammens, LA Syrie Precis Historique, Beyrouth, 1921, Vol. 1, pp. 225-226.

Setton, A History of the Crusades, Vol. 1, P. 582.

هدفه، فترك سفينتين تحاصراها وتمنع عنها المياه والمؤن⁽¹⁾، وسار ببقية قواته نحو الجنوب، ومنعا لأي تدخل من جانب القوات البرية القادمة من مصر والشام سير قوة تسير برا بحذاء الساحل إلى تبوك⁽²⁾. وهكذا كانت الحملة التي أعدها تجمع بين الصفتين البرية والبحرية ويؤكد ذلك ما قاله الذهبي: «وفيها سار الفرنج بحرا وبرا لتملك الحجاز»⁽³⁾.

ومما لا شك فيه أن أرناط كان يهدف من وراء هذه الحملة إلى أهداف اقتصادية عسكرية، وأخرى روحية دينية. أما هدفه الاقتصادي والعسكري فهو السيطرة على تجارة البحر الأحمر باحتلال اليمن ووضع البحر الأحمر تحت النفوذ الصليبي، وتحويل تجارته إلى خليج العقبة والمملكة اللاتينية⁽⁴⁾ وفي هذا دعم كبير للحركة الصليبية، بالإضافة إلى أنه يضعف من قوة خصمه صلاح الدين الذي جعل من السيطرة على البحر الأحمر هدفا أساسيا في إستراتيجيته ضد الصليبيين، فالتجارة التي

(1) ابن الأثير: الكامل، ج 11، ص 490-491 - ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 229 - أبو شامة: الروضتين، ج 2، ص 35 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج 3، ص 317-318 - العمري: مسالك الأبصار، ج 16، قسم 2، لوحة 269 "مخطوطة" - ابن منكلي: الأحكام المملوكية والضوابط الفارسية في فن القتال في البحر، مخطوطة بمكتبة كلية الآداب: جامعة الإسكندرية تحت رقم 9م، لوحة 48 - ابن خلدون: العبر، ج 5، ص 299 - المقريزي: السلوك، ج 1، ص 78-79 - رانسمان: ج 2، ص 706.

Conder, The Latin Kingdom, P. 140.

Stevenson, Op. Cit. P. 229.

(2) المقريزي: الخطط، ج 1، ص 299-300.

تبوك: واحة تقع بين الحجر (ديار ثمود) وأول الشام، وهو حصن به عين ونخيل (الاصطخري: مسالك الممالك، ص 20).

(3) الذهبي: دول الإسلام، ج 2، ص 90.

(4) Praver, (J.) The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972, P. 71.

حولت إلى مصر ثم أوروبا كانت تدر عليه المبالغ الطائلة التي تمكنه من الاستمرار في نضاله ضد الفرنج وتوحيد الجبهة الإسلامية، وقد عمل على اجتذاب المدن الإيطالية للتجارة مع مصر ومنحها امتيازات خاصة، فإنهاك صلاح الدين اقتصاديا يعني بالتالي إنهاكه عسكريا، وهي إستراتيجية وعائها أرناط وسعى إلى تطبيقها، أما أهدافها الروحية والدينية، فهو ضرب المسلمين في أقدم مقدساتهم، إذ كان ينوي هدم الكعبة المشرفة⁽¹⁾ وهدم مسجد الرسول في المدينة المنورة والاستيلاء على جثمان الرسول ﷺ⁽²⁾ ونقله إلى الكرك، وعدم السماح للمسلمين بزيارته إلا بجعل كبيرة يفرضها عليهم، وكان الدافع إلى ذلك روح التعصب البغيض والكرهية التي تعتمل في قلبه، بالإضافة إلى تشجيع فرسان الداوية⁽³⁾ الملح له لتحقيق هذا المطمع والاستيلاء على مكة والمدينة أقدم مقدسات المسلمين.

سار الأسطول الصليبي بحذاء الساحل المصري إلى عيذاب أهم موانئ مصر على البحر الأحمر وعن طريقها تصل تجارة الهند والشرق الأقصى ومنها يجوز الحجاج إلى مكة فاستولوا على ستة عشر مركبا هناك وأحرقوها⁽⁴⁾. كما استولوا على مركب آخر للحجاج كان قادما من مدينة جدة، ثم نزلوا على بر عيذاب وتوغلوا في البلاد واستطاعوا أن يأسروا قافلة كبيرة من الحجاج ما بين عيذاب وقوص كانت في

(1) King, Kinghts Hospitallers, P. 115.

Lane Poole , Saladin, P. 175.

(2) ابن جبير: الرحلة، ص 29-30 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج3، ص 317 - الحنبلي: الأانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، القاهرة، 1283هـ، ج1، ص 280 - فيليب حتي: تاريخ سورية وفلسطين، ج2، ص 237.

(3) Conder, The Latin Kingdom, P. 381.

(4) ابن جبير: الرحلة، ص 29-30 - المقرئ: السلوك، ج1، ص 78-79.

Lane Poole, Saladin, P. 176.

طريقها إلى الديار الحجازية. كما استولوا على مؤن كثيرة في عيذاب كانت معدة لإرسالها إلى مكة والمدينة ثم واصلت السفن الصليبية سيرها في البحر الأحمر وهاجموا سواحل تهامة واليمن⁽¹⁾. وأحرقوا كل السفن الإسلامية التي قابلوها في طريقهم. وأشاعوا الذعر والخوف في سواحل البحر الأحمر، ولكنهم آثروا العودة إلى الشواطئ الحجازية قاصدين مكة والمدينة، بعدما ثقلت سفنهم بما غنموه من غنائم وأموال.

أثارت هذه الاعتداءات مشاعر الغضب في نفوس المسلمين، فدعوا إلى الجهاد ولتخليص الديار المقدسة من هذا الخطر الصليبي الداهم، وتتجلى هذه المشاعر في المراسلات العديدة التي كتبها القاضي الفاضل⁽²⁾ حول هذا الموضوع، فما هو رد الفعل الإسلامي؟

كان صلاح الدين بعيدا في الشمال ولم يكن لديه أسطول في العقبة يتعقب سفن أرناط، فأرسل لأخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب بمصر فعهد هذا بدوره إلى قائده حسام الدين لؤلؤ⁽³⁾، فأعد أسطولا في دار صناعة السفن

(1) ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 127-131 - سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: ج8، ص 236.
(2) رسائل القاضي الفاضل المتعلقة بهذه الحملة جمعها الدكتور الشيال في آخر كتاب مفرج الكروب لابن واصل الجزء الثالث من رقم 7 إلى 11 صفحة 312 إلى 318.

(3) حسام الدين لؤلؤ: كان من كبار قواد صلاح الدين الأيوبي، وعرف بأنه أشجع الشجعان وأفرس الفرسان، فهو الذي حطم الفرنج في بحر أيلة وبر الحجاز، كان كثير الميراث واسع الخيرات، اشترك في العديد من المعارك ضد الصليبيين، فيه يقول الرضى بن أبي حصينة المصري مخاطبا الفرنج:

عدو لكم لؤلؤ والبحر مسكنه

والدر في البحر لا يخشى من الغير

فأمر حسامك أن يحظى بنحرهم

فالدر من كان منسوب إلى البحر

توفي في القاهرة سنة 596هـ (أبو شامة: الروضتين، ج2، ص 240).

بمصر⁽¹⁾ ونقله إلى أيلة (العقبة) برا⁽²⁾ فأعاد تركيبه هناك وشحنه بالمقاتلة من المغاربة البحرين. وكان الحصار الصليبي قد اشتد على قلعة فرعون في خليج العقبة وانقطع الماء عنهم، ولكن الله أرسل عليهم أمطارا غزيرة في شعبان وأصبح لديهم من المياه ما يكفيهم لمدة شهرين⁽³⁾ فقويت معنوياتهم واستعدوا للحصار.

ثم وجه لؤلؤ ضربته الأولى إلى الصليبيين المحاصرين وذلك في شعبان 578 (ديسمبر (كانون أول) 1182م)، واستعمل النار الاغريقية فأحرق السفن المحاصرة⁽⁴⁾ وأسر وقتل عددا كبيرا منهم، أما من هرب إلى البر فقد أدركهم العربان في تلك الشعاب وقبضوا عليهم فلم ينج منهم أحد⁽⁵⁾. ثم اتجه إلى الجنوب فوصل إلى عيذاب ولكنه لم يجد أثرا للأسطول الصليبي⁽⁶⁾ وشاهد آثار الدمار التي أحدثها الصليبيون في الميناء، فتعقبهم في البحر وكانوا قد بلغوا رابغ الميناء الحجازي القريب من مكة⁽⁷⁾ - إلى الشمال من جدة - وهناك وجدوا تجارا فأسروا بعضهم وأشاعوا الذعر في شواطئ الحجاز. ثم توجهوا نحو الشمال كي يتمموا خطتهم بالاستيلاء

(1) ابن جبير: الرحلة، ص 29-30 - المقرئزي: السلوك، ج 1، ص 78-79.

(2) المقرئزي: السلوك، ج 1، ص 79.

(3) المقرئزي: الخطط، ص 300.

(4) ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 130، ج 3، ص 317-318.

المقرئزي: السلوك، ج 1، ص 78-79.

(5) ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 130.

Schlumberger, Renaud de Chatillon, P. 206.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج 11، ص 491 - ابن خلدون: العبر، ج 5، ص 299.

(7) رابغ: واد يقطعه الحاج له ذكر في المغازي وفي أيام العرب، وقال الواقدي هو على عشرة أميال من الجحفة فيما بين الإيواء والجحفة (ياقوت: معجم البلدان، ج 2، ص 727) «وهي الآن مدينة عامرة على ساحل البحر الأحمر شمال جدة على طريق المدينة».

على المدينة المنورة، فتركوا مراكبهم بساحل الحوراء⁽¹⁾ المواجهة للمدينة يحرسها عدد من جنودهم، وسار أرناط برا بفرسان الداوية يصحبه ثلاثمائة مقاتل⁽²⁾ يساعدهم بعض الأعراب⁽³⁾ من أهالي تلك الجهات، وساروا إلى مسافة قريبة من المدينة حتى أصبحوا على مسيرة يوم منها وقد أنهكتهم حرارة الصيف الشديدة. كانت الأرض جرداء صخرية مليئة بالشعاب ومع ذلك جد أرناط في سيره لبلوغ هدفه وأدرك حسام الدين لؤلؤ الأسطول الصليبي في الحوراء، فأنقض عليه وأحرقه جميعه⁽⁴⁾ بعد أن اشتبك مع من تولى حراسته من القوة الصليبية فمزق جمعهم، وأطلق الأسرى من التجار، ورد إليهم ما أخذ منهم. ثم نزل إلى البر بقسم من قواته وقدم بعض الأعراب القاطنين هناك خيلا له ولجنده فركبها وسار خلف أرناط مسرعا كي يمنعه من بلوغ مرآمه. وبعد خمسة أيام من المطاردة⁽⁵⁾ أدركه وقد أصبح على مسيرة يوم واحد من المدينة وعلم أرناط أن لا سبيل إلى العودة إلى الحوراء حيث ترك أسطوله فلجأ بعض جنوده إلى المرتفعات⁽⁶⁾ ولكن الحاجب لؤلؤ طاردهم في كل مكان وقتل وأسر

(1) الحوراء: مدينة على ساحل وادي القرى بها مسجد جامع، وبها ثمانية آبار عذبة وبها ثمار ونخل، وأهلها عرب من جهينة وبلي (القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 389) ويذكر المقرئ أنها تتصل بأغراض مدينة الرسول ﷺ (الخطط، ج1، ص 24).

(2) الحنبلي: الأئس الجليل، ج1، ص 281.

(3) ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 131 و ج3، ص 318.

Conder, The Latin Kingdom, P. 141.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص 311.

Conder, Op. Cit, P. 141.

(5) ابن واصل: مفرج الكروب، ج3، ص 318.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج11، ص 490-491- أبو شامة: الروضتين، ج2، ص 35- ابن واصل: مفرج الكروب، ج3، ص 316- ابن خلدون: العبر، ج5، ص 299- الحنبلي: الأئس الجليل، ج1، ص 281.

Conder, The Latin Kingdom, P. 141.

معظمهم، أما أرناط فقد اتجه نحو الشمال هاربا⁽¹⁾ واستطاع النجاة بصعوبة بالغة ومع بعض أتباعه حيث التقى بقواته عند تبوك وعاد إلى الكرك خاسرا فاشلا. واقتاد لؤلؤ أسراه مكبلين بالأغلال وعاد بهم إلى أسطوله وكانوا مائة وسبعين أسيرا⁽²⁾، فأرسل اثنين منهم إلى مكة المكرمة كي يقتلا أمام المسلمين في منى⁽³⁾ بموسم الحج وليكونوا عبرة لغيرهم. وأما الباقيون فقد ساقهم إلى عيذاب ثم إلى قوص بالقاهرة «وكان دخولهم يوما عظيما»⁽⁴⁾ ووزع هؤلاء الأسرى على سائر أنحاء مصر كي يقتلوا بها⁽⁵⁾. وقد شاهد ابن جبير عددا منهم في الإسكندرية⁽⁶⁾ عند قدومه إليها في عام 578هـ (1183م) وقد ركبوا على الجمال بالمقلوب وطيف بهم في شوارع الإسكندرية بين قرع الطبول والنفخ في الأبواق، ثم قتلوا. ولقد استغرقت حملة أرناط وغيثه في البحر الأحمر والسواحل زهاء أربعة أشهر⁽⁷⁾، من شعبان حتى ذي القعدة من هذا العام 578هـ (1182-1183م) وفي حملته تلك قال ابن الوردي:

(1) سبط أبو الجوزي: مرآة الزمان، ج 8، ص 235.

Ibid, P. 142.

Lane Poole, Saladin, P. 176.

Stevenson, Op. Cit, P. 229.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج 8، ص 235 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 131، ج 3، ص 318 - الذهبي: دول الإسلام، ج 2، ص 90.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج 11، ص 491 - ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 229 - سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج 8، ص 235 - أبو شامة: الروضتين، ج 2، ص 35 - ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 128 - أبو الفداء: المختصر، ج 3، ص 69 - رانسمان: ج 2، ص 707.

Lane poole, Op. Cit. P. 176.

(4) ابن آبيك: كنز الدرر، ج 7، ص 72.

(5) ابن جبير: الرحلة، ص 31.

(6) ابن جبير: الرحلة، ص 29-31.

(7) ابن واصل: مفرج الكروب، ج 3، ص 312 - المقرئ: الخطط، ج 1، ص 300.

قد طمع البرنس بمسـتحيل

فجر لقومه سفك الدماء

ولو ترك النبي بلا دفاع

عند أملاك السماء⁽¹⁾

وكان من نتائج حملة أرناط الجريئة الفاشلة أنها وحدت صفوف المسلمين وألهبت حماسهم فتغير شعور كل من صاحبي الموصل وحلب المناوئين لصالح الدين وخجلا⁽²⁾ من تعاونهما مع الفرنج في الوقت الذي حاول فيه الفرنج طعن المسلمين في أعز مقدساتهم، لذا سارعا للتفاهم مع صلاح الدين. كذلك أسهمت هذه الحملة في ازدياد محبة المسلمين لصالح الدين والتفافهم حوله، وذاعت شهرته⁽³⁾ في جميع أنحاء العالم الإسلامي وأصبح رمزا للزعيم الديني والقائد البطل أمل العروبة وموضع رجاء الإسلام.

أما بالنسبة للفرنج فقد صدعت الهزيمة صفوفهم وعجلت بنهايتهم⁽⁴⁾ وأثبتت فشل سياستهم التوسعية في بلاد الشرق الإسلامي، ومهدت المجال لصالح الدين كي يسترد ما اغتصبوه من ديار العروبة والإسلام، ثم أنها كانت المنطلق لتحرير البيت المقدس، فتهدد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة كان من شأنه إثارة الحماس لتحرير بيت المقدس.

(1) ابن الوردي: تنمة المختصر، ج 2، ص 92.

(2) رانسمان: ج 2، ص 707.

(3) هاملتون جب: صلاح الدين، ص 143.

(4) Lamb, The Flam of Islam, P. 271.

5- في العصر المملوكي

اهتم المماليك بالتجارة الشرقية وطرقها البرية والبحرية، وأصبحوا منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وسطاء التجارة الدولية والمسيطرين على أهم شريان لها، وأعني به طريق البحر الأحمر، بعدما اغلق الطريقان الآخران البري القادم من أواسط آسيا، والبحري المتجه إلى الخليج العربي، بسبب الظروف العسكرية التي تعرضت لها تلك المناطق والزحف التتاري نحو الغرب باتجاه العراق وبلاد الشام. وأصبحت تجارة البحر الأحمر تشكل الدخل الرئيسي للدولة المملوكية، وأصبحت تجارة البحر الأحمر تشكل الدخل الرئيسي للدولة المملوكية، ونتيجة لذلك ارتبطت بعلاقات تجارية ودبلوماسية وشيخة مع الدول الأوروبية، التي أصبح لها في معظم المدن الشامية والمصرية قنصليات وجاليات ووكالات تجارية، وجنت الدولة المملوكية من جراء ذلك الأرباح الطائلة. فكانت مراكب الهند تفرغ حمولتها في عدن ومن ثم تنقلها مراكب البحر الأحمر شمالاً، فالمتجهة إلى مصر تفرغ حمولتها في السويس أو الطور، أما المتجهة إلى الشام فتفرغ حمولتها في أيلة (العقبة)، بالإضافة إلى أن الطريق البري ظل على ازدهاره ماراً بالحجاز إلى أيلة ومصر والشام، ولم يخدم هذا الطريق التجارة فحسب بل خدم قوافل الحجاج القادمين من الشمال الإفريقي ومصر وجنوب فلسطين.

أما عن الأحداث السياسية في أيلة فلا يوجد ما يستثير الباحث اللهم إلا تلك التي حدثت فيها صدفة، وذلك أثناء توجه السلاطين إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج. ومنها ثورة المماليك في سنة 778هـ (1385م) ضد السلطان الأشرف شعبان في طريقه إلى الحجاز ففي العقبة حاولوا قتله فهرب عائدا إلى القاهرة. أما الأمراء والحاشية فتفرقوا فقسم توجه إلى الحجاز وآخرون عادوا إلى القاهرة حيث أعلنوا موت السلطان وبايعوا ابنه المنصور عليا، وبعد وصول الأشرف شعبان إلى مصر ألقوا القبض عليه وقتلوه⁽¹⁾.

لم تتبع أيلة نيابة الكرك من ناحية إدارية، فقد كان ثغر أيلة ولاية تتبع نيابة السلطنة في القاهرة ويتم التعيين فيها من السلطان نفسه⁽²⁾، ومعه حامية عسكرية تقيم في قلعة جزيرة فرعون. وبقي الأمر كذلك حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون، فأبطل القلعة البحرية ونقل الوالي والحامية إلى برج مدينة العقبة⁽³⁾. واهتم المماليك بالميناء وبنوا فيه رصيفا لرسو السفن التجارية، بالإضافة إلى أنهم ربطوا أيلة بخط ملاحى يربطها بالموانئ الحجازية لنقل الحجاج الشاميين بحرا⁽⁴⁾. وخدمة لحركة التجارة البرية والبحرية معا أقام المماليك ديوانا للمكوس لتمكيس السلع القادمة إليها ومن خلالها⁽⁵⁾. أما المدينة نفسها فكانت مزدهرة ديموغرافيا واقتصاديا تقام فيها الأسواق

(1) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج 11، ص 148 .

يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، ط 2، ص 272.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 87.

المحبي، خلاصة الأثر، ج 1، ص 9.

(3) أبو الفداء، المصدر السابق، ص 87.

(4) أبو الفداء، المصدر نفسه، ص 153.

(5) المقرئزي: السلوك، ج 4، ص 256.

ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص 108، 132 .

يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، ط 2، ص 89.

الموسمية المتشعبة فالعمري يقول: «وهو مكان مقصود تأتي إليه أجلاب الشام، وتقام به الأسواق العظيمة الممتدة المتشعبة، التي لا توجد في أمهات الأقاليم وكبار المدن⁽¹⁾»، واستمر الأمر كذلك حتى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) فظلت مدينة عامرة أهلة بالسكان⁽²⁾.

وقد أولى السلاطين المماليك اهتمامهم بأيلة خصوصا في أواخر دولة المماليك الثانية (الجراكسة)، فقانسوه الغوري جدد رصيفها البحري، وحصنها فأعاد ترميم وتجديد قلعتها وأصلح عقبة أيلة وبنى على طولها جدارا لمنع انجرافها. ورتب في العقبة حامية عسكرية مزودة بالمدافع (يقيمون بها سنة ثم يعودون إلى مصر وتتوجه جماعة غيرهم إلى هناك⁽³⁾) وذلك بسبب الوجود الفرنجي في البحر الأحمر وسيطرتهم على تجارة الهند والصين واكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح، وتحويل تجارة الشرق إلى أوروبا بواسطته.

وظلت أيلة موضوع عناية العثمانيين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة إبعاد الخطر الأوروبي عن الجزيرة العربية والبحر الأحمر وحماية الأماكن المقدسة، فأرسلت الأساطيل البحرية مزودة بالمدافع لمواجهة البرتغاليين وبنوا الأسوار حول المدن الساحلية في عدن وجدة، ورتبوا في أيلة حامية عسكرية يستبدلونها سنويا.

(1) العمري، مسالك الأبصار، ج2، ق1، لوحة 168 (مخطوط).

يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، ص 87.

(2) المقرزي، الخطط، ج1، ص 346.

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ط الشعب، ص 779.

الفصل الثالث

الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية لأيلة (العقبة)
والبحر الأحمر

1- في العصور القديمة

2- في العصر الإسلامي

1- في العصور القديمة

كانت لأيلة علاقاتها مع البحر الأحمر وسواحله الغربية والشرقية ومع الدول المجاورة في فلسطين والساحل الفينيقي منذ القرن العاشر قبل الميلاد. وتمتعت أيلة منذ تلك العصور القديمة بموقع فريد في رأس خليج يبلغ طوله 180 كم ولا يزيد عرضه في أقصى اتساع عن 25 كم، ويمتاز قاعه بشدة التضرس والعمق الذي يصل إلى حوالي 1287 متراً⁽¹⁾. ويعتبر هذا الخليج جزءاً رئيسياً من الأخدود الذي يشمل البحر الأحمر ويمتد شمالاً إلى وادي عربة والبحث الميت ووادي الأردن وسهل البقاع في وسط سوريا⁽²⁾. وتكون السواحل الصخرية معظم جهات الجانب الغربي لهذا الخليج ذات الحافات الانكسارية التي تصطدم أمواج البحر بسفوحها. وقد ساعد امتداد الخليج هذا في أن يكون ميناء أيلة ميناء محمياً من أعاصير البحر وأنوائه. وتتحكم بمدخله الجنوبي جزيرة تيران (جوتابا) التي تشكل نقطة إستراتيجية هامة في طرفه الجنوبي، ويمتاز خليج العقبة بقلّة الشعاب المرجانية قياساً على كثرتها في البحر الأحمر، فإن ضيق الخليج ومرور السفن يساعدان على استمرار تحرك المواد

(1) محمد فاتح عقيل، أهمية الموقع الجغرافي لسواحل مصر العربية، بحث في كتاب البحرية المصرية، جامعة الإسكندرية، 1973م، ص 39.

(2) محمد فاتح عقيل، المرجع السابق، ص 36.

الرسوبية التي يتألف منها قاعها، وهذه الحركة لا تساعد بالتالي على تكون الشعاب المرجانية⁽¹⁾.

ويعتبر ميناء أيلة باب البلاد الشامية على المحيط الهندي وإفريقية والشرق الأقصى، ومن هنا جاءت أهميتها الإستراتيجية والتجارية. أضف إلى ذلك أن موقعها في فم رأس الخليج جعلها تتحكم في طرق المواصلات البرية التي تربط مصر والشمال الإفريقي بالحجاز والجنوب العربي. وتبرز علاقاتها الواضحة بالبحر الأحمر والتجارة الشرقية وسواحل البحر المتوسط منذ عام 975 ق.م، فالفينيقيون على الساحل الشامي قدموا للملك سليمان الخبرة الفنية في ركوب البحار وبناء السفن التي أخذت طريقها باتجاه الشرق حاملة سلع الهند والصين إلى فلسطين وسواحل البحر المتوسط. أما علاقات الفراعنة بالبحر الأحمر والجنوب العربي فتعود إلى عهد الفرعون (مرنرع)⁽²⁾، والمصادر والنقوش القديمة لا تسعفنا بالكشف عن وجود مثل هذه العلاقات مع أيلة والسواحل الجنوبية لسورية، فأول إشارة وصلت إلينا عن علاقات أيلة التجارية تلك التي ذكرتها التوراة في عهد الملك سليمان.

ولكن الأهمية الملاحية والتجارية للبحر الأحمر وموانئه تبرز واضحة منذ عصر البطالمة، فقد كانت السفن القادمة من الهند والصين تفرغ حمولتها في موانئ جنوب بلاد العرب، دون أن يسمح لها اجتياز بوغاز باب المندب⁽³⁾، ومن ثم تأخذ هذه السلع طريقها إلى الشمال عن طريقين: الأول بحري يسير بمحاذاة الساحل الإفريقي

(1) المرجع نفسه، ص 33.

(2) نجيب ميخائيل، البحرية المصرية في العصر الفرعوني، بحث في كتاب تاريخ البحرية المصرية، ص 64.

(3) جورج حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص 64.

أو بمحاذاة ساحل بلاد العرب حتى أقصى الشمال في البحر الأحمر حيث أيلة والقلمزم⁽¹⁾. أما الطريق الثاني فهو بري يمر بسبأ ومعين ويثرب وأيلة ثم إلى البتراء، ومن هناك إلى غزة والبحر المتوسط. وقد كان السبأيون والمعينيون في القرن الثالث قبل الميلاد وسطاء التجارة الشرقية والمسيطرين على الطريقين البحري والبري معا⁽²⁾، ورغم الصعوبات الملاحية في البحر الأحمر بسبب شعابه المرجانية، فقد كان قبلة تجار العالم القديم جميعاً. وكان بطليموس الأول (323-383 ق.م) السباق في إرسال البعثات الكشفية لارتياح البحر الأحمر وسواحله الإفريقية والعربية، بل تعدى ذلك إلى المحيط الهندي⁽³⁾.

ولكن بطليموس الثاني فيلادلفوس أعطى اهتماماً أكبر بتجارة البحر الأحمر وسواحله وموانئه، فقد تمتع بعقلية تجارية واقتصادية ووسع من دائرة نفوذه عبر جوف سوريا Coele Syria الذي أدخله بطليموس الأول تحت النفوذ البطلمي في سنة 318/319 ق.م بل امتد اهتمامه إلى البحر الأحمر والشعوب الساكنة حوله، فأرسل (اريستون) Ariston في مهمة استطلاعية إلى بلاد الأنباط فبلغ أيلة في خليج العقبة، ثم زار ثمود في الحجاز، كما زار مملكتي معين وسبأ في الجنوب العربي، وبلغ باب المنذب ثم قفل راجعاً إلى مصر⁽⁴⁾. أما بطليموس الثاني (285-246 ق.م) فقد

(1) محمد عواد حسين، البحرية المصرية في عهد البطالمة، بحث في كتاب البحرية المصرية، ص 152.

وانظر Todd, The Ancient World, London, 1938, P. 288.

(2) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 61.

(3) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 153.

(4) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 153.

جورج حوراني، المرجع السابق، ص 53.

منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 292.

ركز اهتمامه على الشواطئ الشرقية لإفريقية للحصول على الفيلة لمجابهة الفيلة الهندية التي كان يستخدمها السلوقيون في سوريا، واستخدم لنقلها ميناء بيرنيكي Bernice شرقي أسوان متجنباً الأنباط في شمال البحر الأحمر الذين كانوا يهاجمون السفن البطلمية ويستولون عليها⁽¹⁾.

وقد أدرك بطليموس فيلادلفوس مقدار السيطرة النبطية على تجارة البحر الأحمر والجنوب العربي، فقام بحملة ضد النبطيين خلال العامين 377/378 ق.م. فهاجم منطقة البتراء والبحر الميت للحد من النفوذ والسيطرة النبطية على خطوط التجارة والملاحة الشرقية⁽²⁾. بالإضافة إلى اهتمامه بمدينة عمان التي منحها اسمه (فيلادلفيا) كي تستطيع الوقوف في وجه المد النبطي نحو الشمال.

رفض الأنباط هذا التدخل البطلمي في شؤون تجارتهم، فأخذوا يهاجمون السفن البطلمية في البحر الأحمر، مما اضطر فيلادلفوس إلى إرسال الحملات البرية والبحرية ضدهم⁽³⁾، بل عمد إلى إنشاء ميناء امبيلوني Ampelone على الساحل الشرقي للبحر الأحمر⁽⁴⁾، وأقام فيه حامية عسكرية لحماية السلع الواردة إليه من ساحل الحجاز والجنوب العربي ضد غارات الأنباط، وقد قاوم الأنباط هذا الإجراء فشنوا غارات بحرية على تجارة البطالمة في البحر الأحمر، إزاء ذلك أرسل بطليموس الثاني حملات عسكرية هاجمت الأنباط في عقر دارهم، بل أنه

(1) جورج حوراني، نفس المرجع السابق، ص 57.

(2) محمد عواد حسين، المرجع نفسه، ص 138.

(3) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 59.

(4) منذر عبد الكريم، المرجع السابق، ص 393، ويرى جورج حوراني أن هذا الميناء أنشأه بطليموس

الثاني (المرجع نفسه، ص 58).

أقام في عمان (فيلادلفيا) فرقة عسكرية للوقوف في وجه التجارة النبطية المتجهة نحو الشمال⁽¹⁾.

وظل ميناء اميلوني نشيطا حتى عهد بطليموس السادس (180-145 ق.م) حين قضى عليه النبطيون وأنشأوا مكانه ميناء ليوكي كومي⁽²⁾ Leuce Come .

استعاد السلوقيون جوف سوريا Coele Syria في عهد بطليموس الخامس سنة 198 ق.م⁽³⁾ فحولوا جزءا من تجارة البحر الأحمر نحو الموانئ السورية. إلا أن العلاقات البطلمية ببلاد الأنباط وخليج العقبة ظلت حتى عهد كليوبترا ففي سنة 37 ق.م تزوجت كليوبترا من انطونيوس القائد الروماني وكانت هدية زواجها أن منحها انطونيوس: إمارة خالكيس وسوريا الوسطى، وكيليكيا، وتراقيا، وقبرص، ومعظم شواطئ فلسطين وفينيقيا، بالإضافة إلى الأراضي الواقعة شرقي البحر الميت مع حق احتكار قطران هذا البحر⁽⁴⁾. حتى أن كليوبترا بعد هزيمتها في معركة اكيثوم 31 ق.م⁽⁵⁾، مع زوجها انطونيوس فكرت جديا في الهروب إلى الهند وإقامة دولة فيها، ونقلت السفن من سواحل البحر المتوسط على أيلة، ولكن الأنباط استولوا على هذه السفن وأحرقوها⁽⁶⁾.

(1) منذر عبد الكريم، نفس المرجع، ص 393.

(2) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 153.

(3) عبد اللطيف أحمد علي، محاضرات في العصر الهلينستي، مطبعة كريدية، بيروت، 1972م، ص 113.

(4) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 144.

(5) أيدرس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ص 86.

(6) محمد عواد حسين، المرجع نفسه، ص 155.

ولما كانت المعلومات شحيحة عن البحر الأحمر والمحيط الهندي في أواخر العصر الهليني وأوائل العصر الروماني، فمما لا شك فيه أن الوجود الإغريقي كان له تأثيره في عدن وبعض جزر المحيط الهندي كجزيرة سوقطرة التي كانت تضم أشتاتا من الناس: هنود وعرب ويونان وفرنس وإفريقيون⁽¹⁾، بل أن رحلات منتظمة من مصر إلى الهند قام بها البطالمة عبر البحر الأحمر في سنة 120، 110 ق.م⁽²⁾. وقد برز النشاط التجاري النبطي بشكل واضح في البر والبحر، فلم يعودوا هم المسيطرون على طريق البر القادم من الجنوب العربي إلى الشام، بل إن سيطرتهم امتدت إلى الطريق البري الممتد من (خاراكس) - الواقعة عند ملتقى نهر قارون بدجلة - إلى البتراء. واتخذوا من مدينة فورات Forat على دجلة والتي تبعد 12 كم عن خاراكس مركزا لتحميل قوافلهم بالسلع الشرقية.

وقد أصلح الأنباط الطريق الصحراوي المباشر الذي يربط بلاد ما بين النهرين بالبتراء، وحفروا الآبار وشيدوا الخانات لهذه الغاية. ولم يقتصر النشاط التجاري النبطي على البحر الأحمر وبلاد الشام، بل كان لهم دورهم في تجارة البحر المتوسط، فالنقوش النبطية اكتشفت في روما وبتيولي Puteoli قرب نابولي، وهناك نقوش أخرى وجدت في جزيرة رودس وكوس في بحر ايجه تعود للقرن الأول الميلادي⁽³⁾. وهكذا أصبح الأنباط وسطاء التجارة الشرقية في منطقة الهلال الخصيب والجنوب العربي بل امتد نشاطهم إلى مصر نفسها.

(1) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 63.

(2) جورج حوراني، نفس المرجع، ص 66، منذر عبد الكريم، المرجع السابق، ص 393.

(3) منذر عبد الكريم، المرجع نفسه، 407 . Grant, Op. Cit, P. 58 .

أولى الرومان البحر الأحمر وتجارة المشرق عناية خاصة، وأصبح مثار اهتمامهم بسبب ما تدره هذه التجارة من أرباح طائلة⁽¹⁾، حتى أن عدد المراكب التي كانت تبحر إلى عدن واليمن بلغ 120 مركبا سنويا⁽²⁾ بالإضافة إلى تزايد الطلب على سلع المشرق وخصوصا الحرير، إزاء ذلك كان لا بد من حماية هذه التجارة عبر البحر الأحمر من عبث العابثين. وقد حاول الرومان جعل البحر الأحمر بحيرة رومانية باحتلال عدن والجنوب العربي لكن جهودهم باءت بالفشل وبقيت السيادة في البحر الأحمر لعرب الجنوب (سبأ وحمير) وعرب الشمال (الأنباط). ففي منتصف القرن الأول الميلادي كان ميناء عدن في جنوب البحر الأحمر «مزدحما بأصحاب السفن والملاحين العرب وفي شغل شاغل بشؤون التجارة، فهم يتجرون مع الساحل البعيد: اريتريا والصومال ومع بريجازا ويعثون بسفنهم إليها»⁽³⁾، أما ميناء ليوكي كومي في الشمال فوصف بأنه سوق للنبط ولتجارهم. وكانت سلع الهند تشمل الحرير والقطن والأقمشة، وخشب الصندل والساج والابنوس والجواهر والفلفل والتوابل، و سلع الصومال واكسوم كالعاج والجلود والقرفة والرقيق، أما اللبان والطيب فمن الجنوب العربي، وكانت مصر تصدر البرونز والقصدير والذهب إلى الهند والصين⁽⁴⁾.

(1) Vasiliev, Op. Cit, P. 361.

Todd, Op. Cit, P. 289.

جورج حوراني، المرجع السابق، ص 78، منذر عبد الكريم، المرجع السابق، ص 393.

(2) Moss, The Birth of the Middle Ages, P. 3.

(3) نص من رحلة بريبلوس (جورج حوراني، ص 82).

(4) أيديريس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي،

بيروت، 1972م، ص 68 . Moss, Op. Cit, P. 3

ومما لا شك فيه أن العصر الذهبي لأيلة يبرز في عهد الامبراطور الروماني تراجان، ويبلغ مداه في العصر البيزنطي، فأخذت أيلة تتبوأ مكانها في دنيا التجارة والملاحة الرومانية والبيزنطية على حد سواء. فربطت أيلة بطريقين معبدتين الأول يربطها بدمشق مارا بالبتراء والكرك ومادبا وعمان وجرش وبصرى Via Tragan، وآخر يربطها بغزة على البحر المتوسط⁽¹⁾. وقد أدى ازدهار أيلة التجاري إلى تلاشي ميناء ليوكي كومي، ومع ذلك كان الرابع في كل الأحوال الأنباط الذين ظلوا سادة التجارة في شمال البحر الأحمر وجنوبي سوريا، فبلغت البتراء في القرن الثاني الميلادي درجة من التقدم لم تشهده من قبل.

وشملت إصلاحات تراجان خط الملاحة على الطرف الثاني للبحر الأحمر، فأصلح القناة التي تربط النيل بالبحر الأحمر عند ميناء القلزم Clysmas⁽²⁾، وأصبحت الملاحة آمنة في خليجي العقبة والسويس بسبب الأسطول الروماني الذي كان يجوب البحر الأحمر لحماية السفن التجارية خلاله⁽³⁾. أما في البر فقد منح السلام الروماني Pax Romana لسورية الأمن والتجارة عبر طريقها المتشعبة⁽⁴⁾. ونتيجة لحركة التجارة النشطة في أيلة فقد استقطبت التجار والمغامرين من المناطق المجاورة. كالتدمريين الذين اشتغلوا في ملاحة البحر الأحمر وكونوا في عهد هادريان (117-138م) نقابة خاصة بهم⁽⁵⁾، وامتد نشاط التجار والملاحين السوريين إلى أوروبا عبر

(1) Vasiliev, Op. Cit, P. 363.

جورج حوراني، المرجع نفسه، ص 86.

(2) Moss, Op. Cit, P. 2.

(3) جورج حوراني، المرجع نفسه، ص 86.

(4) Fedden, Syria an historical appreciation, London, 1946, P. 97.

(5) جورج حوراني، المرجع نفسه، ص 87.

Moss, Op. Cit, P. 2.

البحر المتوسط، ففي القرنين الأول والثاني الميلاديين كانوا الأكثر نفوذاً في التجارة الرومانية فرادي أو جماعات، فوجدوا في معظم أنحاء أوروبا تقريباً، واستمر هذا النشاط حتى القرن الخامس الميلادي⁽¹⁾، فالعرب عرفوا منذ أقدم العصور بأنهم من أحسن التجار وأمهرهم⁽²⁾.

ومنذ القرن الثالث الميلادي بدأ اضمحلال التجارة الرومانية عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي، ويبدو أن الفرس ظهوراً كمنافس لهم في المياه الدافئة، فقد اهتم ملوكهم منذ اردشير الأول (225-241م) بإنشاء الموانئ وإقامة العلاقات التجارية مع الهند والصين والساحل الإفريقي⁽³⁾. كما أن مملكة اكسوم (في الحبشة) تأخذ في الظهور والتدخل في شؤون البحر الأحمر والحجاز واليمن وتحاول مد نفوذها إلى شؤون الحميريين الداخلية. أما الأجزاء الشمالية من البحر الأحمر فبقيت أيلة والقلزم ميناءين هاميين في طرفي الخليجين⁽⁴⁾.

وكانت التجارة مع الهند والصين في الدولتين الرومانية والبيزنطية مسألة حيوية للدولتين، فالسياسة الخارجية في كليهما كانت تعتمد بشكل كبير على أغراض التجارة الخارجية، ومنذ القرن السادس الميلادي بدأ الصراع بين الفرس وبيزنطة على طرق التجارة الدولية المؤدية إلى الهند والصين⁽⁵⁾، واستطاعت فارس السيطرة على الطريقين البرية عبر أواسط آسيا والبحرية عبر الخليج العربي⁽⁶⁾، ثم بدأت

(1) Grant, Op. Cit, P. 57.

(2) Vasiliev, Op. Cit, P. 362.

(3) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 91.

(4) جورج حوراني، نفس المرجع، ص 95.

(5) Hussig, A history of Byzantine Civilization, P. 62.

(6) Ibid, P. 105.

تنافس بيزنطة في السيطرة على الطريق الثالثة طريق البحر الأحمر. لذا عمدت بيزنطة إلى إقامة الدفاعات الحدودية ضمانا لطرقتها التجارية البرية وحمايتها من الأخطار الفارسية وهجمات الأعراب في جنوب سوريا. وأقوى هذه الخطوط الدفاعية الذي يبدأ من أيلة على البحر الأحمر منتهيا إلى الفرات قرب قرقيسيا وخلف دجلة، فعلى هذا الخط بنوا أبراج المراقبة المزودة بالقوات العسكرية، وساعد هذا الإجراء على سرعة تحرك القوات إلى الجهات الخطرة في أقرب وقت وأسهل وسيلة⁽¹⁾. ولما كان من سياسة الدولة البيزنطية إبقاء بوابة التجارة الشرقية مفتوحة، فلا بد من الاصطدام العسكري بين العملاقين، وامتد هذا الصراع إلى الجنوب العربي وساحل إفريقية (اكسوم). فتأثرت تجارة البحر الأحمر وتعدى ذلك إلى الطرق البرية⁽²⁾، هذه العوامل مجتمعة أدت إلى اضمحلال الاقتصاد البيزنطي⁽³⁾.

وفي عهد جستين الأول (518-527م) تمثل الوجود التجاري البيزنطي في البحر الأحمر والمحيط الهندي بعدد من السفن التجاري وزعت على الشكل التالي:

- 15 مركبا في أيلة
- 20 مركبا في القلزم
- 7 مراكب في جوتابا (تيران)
- 7 مراكب في جزيرة فرسان
- 2 مركبان في بيرونيك في البحر الأحمر
- 9 مراكب في الهند⁽⁴⁾

(1) Vasiliev, Op. Cit, P. 362.

(2) Ibid, P. 360, 362.

(3) Ibid, P. 361.

(4) Ibid, P. 367.

وفي الربع الأول من القرن السادس الميلادي زار أحد التجار الرومان المحيط الهندي والحبشة والخليج العربي ووصل إلى سيلان، فقابل هناك خليطاً من التجار الرومان والفرس والأحباش وعرب الجنوب، إلا أن الوجود الفارسي في سيلان كان واضحاً ولهم أسطول كبير فيها⁽¹⁾.

وهناك حقيقة تؤكد أن تجارة جستين الأول مع الشرق كانت تجارة استيراد، فالميزان التجاري لم يكن لصالح الامبراطورية البيزنطية، وأدى ذلك إلى نزيف مستمر للذهب إلى بلاد الشرق، وكان له تأثيره الكبير في الاقتصاد البيزنطي⁽²⁾.

وفي سنة 570م رأى -الحاج- انطونيوس سفينة تصل إلى أيلة قادمة من الهند محملة بصنوف السلع المختلفة⁽³⁾. ولكي يحكم البيزنطيون سيطرتهم على التجارة القادمة من الهند باتجاه القلزم وأيلة أقاموا ديواناً للمكوس في جزيرة جوتابا (تيران) عند مدخل الخليجين⁽⁴⁾.

ومع كل الإجراءات التي قام بها جستينيان (527-565م) للمحافظة على طريق البحر الأحمر التجاري والحيلولة دون تدخل الفرس بتحالفه مع دولة الأحباش ومهاجمتهم للجنوب العربي وتوجيه تجارة عدن إلى ثغري أيلة والقلزم، فلا الأحباش ولا بيزنطة تمكنتا من وقف المد الفارسي في المحيط الهندي والجنوب العربي، لذا كانت فرصة طيبة للبيزنطيين عندما تمكنوا من تهريب ديدان القز من الصين وتربيته، وإقامة صناعة للحبر في بيروت وصور وانطاكية وبعض المدن

(1) Ibid, P. 371.

(2) Vasiliev, Op. Cit, P. 371.

(3) Ibid, P. 365.

(4) Ibid, P. 365.

اليونانية وفي مصر والقسطنطينية⁽¹⁾. ونتيجة للظروف السياسية والحربية التي عانى منها عرب الجنوب بالتدخل الحبشي والفرسي في بلادهم وسيطرتهم عليها، فقد اضمحلت تجارتهم وضعف اقتصادهم فلم يعد لهم تأثير ملحوظ في تجارة الشرق الأقصى والساحل الإفريقي. وتظهر في هذه الفترة قوة قريش في وسط الجزيرة العربية لتلعب دورا له أهميته في حركة التجارة الدولية البرية القادمة من الجنوب العربي والهند إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط. ولم تقتصر صلات قريش بمن جاورها على الصلات البرية، بل إنها ارتبطت بعلاقات جيدة مع الحبشة عبر البحر الأحمر بدليل أن أول هجرة للمسلمين اتجهت نحو الحبشة في سنة 615م. أما أيلة في شمال البحر الأحمر فبقيت لها علاقاتها التجارية البحرية مع الجنوب والساحل الإفريقي والهند والصين بدليل أن الأمان الذي منحه الرسول لأيلة وأهلها نص صراحة على إعطاء الأمان (لسفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر)⁽²⁾.

(1) Ostrogorsky, History of the Byzantine State, P. 75.

(2) محمد حميد الله الحيدري، مجموعة الوثائق السياسية، ص 34.

2- في العصر الإسلامي

بقيت أيلة على طريق المواصلات بين الشام ومصر والجزيرة العربية، وقد عرف الرسول (ﷺ) أهمية هذا الموقع، ففي الرسالة التي وجهها إلى أسقف أيلة وأهلها أشار إلى العلاقات الحيوية البرية والبحرية التي تربط أيلة بالشام والجنوب العربي والبحر الأحمر فقال: «فإن أردتم أن يأمن البر والبحر فأطع الله ورسوله»⁽¹⁾، واشترط عليهم تقديم الضيافة لمن يمر بهم من المسلمين لوقوعها على طريق الشام والحجاز⁽²⁾.

وفي الفتوحات العربية الإسلامية كانت أيلة الطريق الذي سلكه جيش عمرو بن العاص إلى فلسطين⁽³⁾، وكانت أول وقائع المسلمين مع الروم وقعة العربية فهزموهم وقتلوا أحد قوادهم⁽⁴⁾. وقدم الأباط من أيلة وجنوب الأردن المساعدات لجيوش المسلمين⁽⁵⁾ (وكانوا مع المسلمين يكونون عيوناً لهم وفيوجاً، وكان المسلمون

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص 278.

محمد حميد الله الحيدري، مجموعة الوثائق السياسية، ص 32.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 71.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ص 15.

البلاذري، المصدر نفسه، ص 116.

(4) البلاذري، نفس المصدر، ص 117.

(5) الواقدي، المصدر نفسه، ص 20، 23.

يرضخون لهم ويعطونهم)⁽¹⁾، واستخدمهم أبو عبيدة وخالد بن الوليد في نقل البريد إلى المدينة وقواد المسلمين في الشام⁽²⁾. وقد لعبت أيلة دورا له أهميته في حركة الفتوحات الإسلامية في الشام، كحلقة وصل وربط بين الشام والحجاز ومصر، ففي سنة 18هـ (639م) قدم الخليفة عمر بن الخطاب إلى الشام ليرى ما حل بالمسلمين بعد طاعون عمواس ونزل بأيلة في ضيافة أسقفها⁽³⁾.

أما أهمية أيلة الاقتصادية فتتمثل بمبلغ الثلاثمائة دينار الذي صالحوا الرسول (ﷺ) عليه سنويا⁽⁴⁾، مما يدل على ثراء أهلها وازدهار تجارتهم البحرية والبرية. ومن المعروف أن العلاقات التجارية الشامية الحجازية قديمة جدا، فقريش العدنانية كانت تحتكر الطريق التجاري البري بين الشام والجنوب العربي، أما عرب جنوب الشام فكانوا يقومون بنقل السلع الشامية إلى المدينة المنورة والحجاز كالبر والشعير والزيت والتين والقماش وغيرها من المصنوعات⁽⁵⁾. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن التجارة والملاحة في البحر الأحمر لم تتأثر بظهور الإسلام، بل على العكس فقد ازدهرت الحياة الاقتصادية على جانبي البحر الأحمر، بل إن البحر الأحمر نفسه أصبح بحيرة إسلامية بعد أن استولى العرب المسلمون على اليمن والشام ومصر. ففي عام الرمادة 18هـ (639م) الذي أصاب الحجاز أرسل أبو عبيدة 4000 راحلة

(1) الازدي، فتوح الشام، ص 75.

(2) الازدي، نفس المصدر، ص 75، 110.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 4، ص 64.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 561.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص 71.

(5) الواقدي، فتوح الشام، ص 11.

تحمل الطعام من الشام⁽¹⁾، أما عمرو بن العاص فقد أصلح قناة تراجان القديمة التي تربط النيل بالقلمزم وسماها قناة أمير المؤمنين، وأرسل المراكب عبر البحر الأحمر محملة بالحبوب إلى المدينة ومكة⁽²⁾، وهكذا ربطت مصر بالحجاز بخط ملاحى عبر القلمزم والبحر الأحمر.

وقد أدرك العرب المسلمون منذ الوهلة الأولى أهمية البحر الأحمر إستراتيجيا واقتصاديا، فعندما عارض عمر بن الخطاب حفر قناة تراجان القديمة التي تربط النيل بالبحر الأحمر، كان الهدف منه منع أي وجود أجنبى في البحر الأحمر وموانئه الجنوبية، خصوصا وأن العرب كانوا على علم بالصراع الذي نشب بين بيزنطة وفارس للسيطرة على تجارة البحر الأحمر ومدخله الجنوبية، وكان للحبشة دورها في هذا الصراع، فخشية عمر بن الخطاب كانت في محلها خصوصا وأن الأخطار ما زالت محدقة بدولة المسلمين الفتية من فارس وبيزنطة.

وبقى الاهتمام بالبحر الأحمر وتجارته وموانئه الشمالية والجنوبية حيويا للدولة الأموية التي ارتبطت مع أوروبا بعلاقات تجارية وشيخة، -فالحاج- الانكليزي Arculf زار الإسكندرية في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة 50هـ (670م) وذكر بأنها مركز واسع للتجارة العالمية⁽³⁾. أما في البحر الأحمر فكانت السفن تأتي محملة بسلع

(1) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص 556.

(2) الطبرى، المصدر السابق، ج4، ص 100.

ابن الأثير، الكامل، ج2، ص 556.

أحمد مختار العبادى، البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك، بحث في كتاب تاريخ البحرية المصرية، ص567.

(3) Thompson, A Economic and Sosial History of the Middle Ages, P. 196.

الشرق وتفرغها في أيلة والقلزم لتتنقل إلى سواحل البحر المتوسط⁽¹⁾. كما ربطت أيلة بالقلزم بخط ملاحى عبر البحر الأحمر فكانت السفن تأتي من مصر إلى أيلة محملة بالسلع والحبوب ومن هناك تنقلها القوافل برا إلى دمشق⁽²⁾.

وسيطر العباسيون فيما بعد على طرق التجارة الدولية الثلاثة: البرية عبر آسيا والبحرية عبر الخليج العربي والثالثة عبر البحر الأحمر، وأصبحوا هم سادة التجارة الدولية منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)⁽³⁾. وبقي ميناء أيلة على خليج العقبة في العصر الفاطمى من الموانئ الهامة فى حركة التجارة الدولية القادمة من الشرق الإفريقى والمحيط الهندي فى طريقها إلى الإسكندرية عبر الفسطاط⁽⁴⁾. أما فى وسط الحجاز فقد ازدهر منذ أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ميناء جدة فرضة مكة على البحر الأحمر. فكانت السفن القادمة من الهند ترسو فيه لتفرغ حمولتها، ومن ثم تنقل بواسطة سفن البحر الأحمر إلى القلزم وأيلة لأن تلك السفن لا تستطيع الاستمرار نحو الشمال بسبب صعوبة الملاحة فى البحر الأحمر⁽⁵⁾. وكانت الدولة الفاطمية تجبى الضرائب والمكوس بجدة على السلع القادمة إليها من مصر والهند والصين على الشكل التالى:

(1) Ibid, P. 197.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج 1، ص 108.

(3) Thompson, Op. Cit, P. 338.

(4) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص 178.

عبد العزيز سالم، البحرية المصرية فى العصر الفاطمى، بحث فى كتاب تاريخ البحرية المصرية، ص 510، 511.

Heyd, Histoire de Commerce, Vol. P. 9.

(5) جورج حوراني، المرجع السابق، ص 229.

حمل الحنطة	نصف دينار
سفت ثياب الشطوي	3 دنانير
سفت ثياب الديقي	ديناران
حمل الصوف	ديناران
سلة الزعفران	دينار
رأس الرقيق	دينار ⁽¹⁾

إلا أن أيلة وتجارة البحر الأحمر تعرضت إلى تدخل أجنبي منذ أوائل القرن السادس الهجري (الحادي عشر الميلادي) باستيلاء مملكة بيت المقدس اللاتينية على أيلة وتحويل جزء من تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى القدس. ولم يكتفوا بذلك بل أن أسطولهم الحربي كان مثار تهديد لا للتجارة الجنوبية فحسب بل للأماكن المقدسة الإسلامية في مكة والمدينة. ولكن سرعان ما عادت السيادة العربية الإسلامية إلى أيلة على يد صلاح الدين الأيوبي في سنة 566هـ (1170م)، فأنتهى الوجود الصليبي في خليج العقبة. ولم يكتف صلاح الدين بذلك، بل سارع إلى ضم بلاد اليمن فأصبح يسيطر على مداخل البحر الأحمر الجنوبية وأطرافه الشمالية في أيلة والقلزم، وسخر كل تجارة الهند والصين عبر البحر الأحمر لخدمة رحلة نضاله ضد الفرنج.

ولكن الأهمية الاقتصادية والتجارية للبحر الأحمر وموانئه الجنوبية والشمالية تظهر واضحة في العصر المملوكي، فقد شجع المماليك التجارة والسياحة وأصدروا

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 104.

المراسيم التي تشجع على زيارة بلادهم. ومما جاء في ذلك المرسوم الذي أصدره قلاوون ووزعه على جميع البلدان «ومن يؤثر الورود إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها، الظليلة أفيائها وأفناؤها، فليعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخيرة، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة ولا ذخيرة، لأنها في الدنيا جنة عدن لمن فطن، ومسلاة لمن تغرب عن الوطن، ونزهة لا يملها بصر، والمقيم بها في ربيع دائم، وخير ملازم⁽¹⁾».

وأقام المماليك الطرق وأنشأوا الخانات (الفنادق) على طول طرق الاتصالات والمواصلات في مصر والشام خدمة لحركة التجارة الداخلية والدولية. فأقاموا ديوانا للمكوس في العقبة لتمكيس السلع القادمة بحرا⁽²⁾، حتى أن خراج أيلة ووجوه الجبايات فيها بلغ ثلاثة آلاف دينار سنويا⁽³⁾. أما السلع القادمة بطريق القوافل من الجنوب العربي فكانت تمكس في (بويب العقبة) جنوبي أيلة⁽⁴⁾. أما القوافل القادمة من الجنوب العربي إلى دمشق فتمكس في جسر الحسا قرب الكرك وكان متحصلة 10 آلاف مثقال من الذهب سنويا⁽⁵⁾، وقد أقام المماليك الدرك على الطرق حفاظا على أمنها وسلامة المتنقلين عليها.

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، ص 340-342.

(2) يقول ابن إياس «وكانت بها قصر يسكن فيه فياض المكوس بسبب مراكب التجار التي ترد هناك من الهند واليمن والصين، وغير ذلك من البلاد» (نشق الأزهار لوحة 87 (مخطوط)).

(3) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 197.

(4) المقرئزي، السلوك، ج4، ص 256. ابن شاهين، زبدة كشف المماليك، ص 108.

(5) ابن شاهين، المصدر السابق، ص 132.

يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، ط2، ص 89.

وفي دولة المماليك الجراكسة ازدهرت حلب في شمال الشام كأهم مركز لتجارة الشرق، ففي أواسط القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) بلغ عدد الجمال التي تصل إلى حلب 15 ألف جمل، ولكن أهميتها بدأت تضعف في نهاية القرن نفسه، بسبب إغلاق الطرق البرية عبر آسيا الصغرى نتيجة لحروب العثمانيين مع جيرانهم، ولم يبق لحلب سوى مصدر واحد ألا وهو طريق البحر الأحمر، فقد كانت السفن تفرغ شحناتها في أيلة ومنها تنقلها القوافل برا إلى حلب⁽¹⁾. لذا اهتم المماليك بميناء أيلة وبنوا فيه رصيفا جديدا خدمة لحركة السفن التجارية وقد جدد هذا الرصيف وغيره من المنشآت في أيلة السلطان قانصوه الغوري سنة 914هـ (1508م)، وعهد إلى عدد من المهندسين والبنائين على رأسهم المهندس خايربك المعمار لإتمام هذه المهمات⁽²⁾.

وخدمت أيلة منذ فجر الإسلام حركة الحجاج القادمين من الأندلس والشمال الإفريقي وأواسط إفريقيا وجنوب بلاد الشام، فكانت قوافلهم تقيم في أيلة ثلاثة أو أربعة أيام، فتقام لهم سوق عظيمة يقصدها الناس من معظم أنحاء الشام للتجارة والكسب.

وقد وصف ابن فضل الله العمري هذه السوق بأنها لا يوجد مثلها في أمهات المدن⁽³⁾، ويخزنون فيها بعض الزاد والعلف للعودة⁽⁴⁾. وخدمت هذه القوافل حركة التجارة الحجازية فأبو المحاسن يذكر أن عدد الجمال التي تتجمع في مدينة

(1) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص 150.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ط الشعب، ص 767.

(3) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج 2، ق 1، لوحة 168 (مخطوط).

يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، ص 87.

(4) المقرئ، السلوك، ج 3، ص 285.

جدة فرضة مكة المكرمة على البحر الأحمر 80 ألف جمل، فتحمل هذه القوافل في عودتها السلع الشرقية بعد أن تفرغ ما لديها من سلع هناك⁽¹⁾. وأصبح ميناء جدة هو الميناء الرئيسي لسلع الشرق، فبنوا حولها سورا وزودوه بالأبراج الحصينة والمدافع⁽²⁾.

وفي عصر دولة المماليك الثانية (الجراسية) زاد الاهتمام بثغر جدة وحولت مراكب الهند قلوبها إليه، وكانت الدولة تفرض ضريبة العشر على تجار الهند القادمين إلى جدة. وفي أواخر دولة المماليك الجراسية ارتفعت ضريبة العشر على عشرة أمثالها (فامتنع التجار من دخول بندر جدة وآل أمره إلى الخراب)⁽³⁾. فاضطرت الدولة إلى فرض المكوس والضرائب الكثيرة، واحتكرت بعض السلع لأنها كانت تعاني من أزمة اقتصادية خانقة في مواردها المالية بسبب ظروفها الداخلية، وحروبها مع العثمانيين، وتعرض طرقها التجارية لتدخل الدول الأوروبية في البحر الأحمر والمحيط الهندي.

ولكي يسهل الوصول إلى أيلة عن طريق سيناء، قام الخلفاء والسلاطين بإصلاح تلك العقبة الضيقة التي تنحدر من الجبال الشاهقة المحيطة بأيلة من تلك الناحية، وهي طريق متعرجة منحدره جدا طولها مسافة ثلاث ساعات إلا ربع بسير الهجن النشيطة⁽⁴⁾. ففي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) عهد خماروية بن أحمد

(1) أبو المحاسن، حوادث الدهور، ج 1، ص 327.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ط الشعب، ص 1044.

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ط الشعب، ص 1044.

(4) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 204.

بن طولون إلى مولاه (فاتق) مهمة إصلاح هذه العقبة، فسوى طريقها ورمم ما احتاج إلى ترميم⁽¹⁾.

وفي سنة 719هـ (1319م) مهد السلطان الناصر محمد ابن قلاوون عقبة أيلة ووسع طريقها وأزال ما فيها من صخور، فأصبح سلوكها سهلا بغير مشقة، وقد أنفق الناصر محمد عليها أموالا طائلة⁽²⁾. ثم إن الناصر محمد بن قلاوون انتدب الأمير ايتمش في سنة 732هـ (1331م) ومعه مائة رجل من الحجارين لتوسيعها مرة أخرى وإزالة وعرها، ويذكر أبو المحاسن أن صعود هذه العقبة صار سهلا منذ ذلك التاريخ⁽³⁾. وذكر نعوم شقير في كتابه (تاريخ سيناء) أنه اكتشف نقشا في رجم الدرك هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإصلاح هذه الأماكن مولانا السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في شهر رجب سنة 629هـ»⁽⁴⁾.

وأرى أن سنة 629هـ غير صحيحة، فالناصر حسن بن محمد بن قلاوون تولى السلطة مرتين الأولى من 749-752هـ (1349-1351م)، والثانية من سنة 755-762هـ (1354-1361م)، وأعتقد أن التاريخ المنقوش في هذا الحجر قد تأكل مع الزمن وهو لا شك بعد سنة 748هـ. ثم أن السلطان قانصوه الغوري السلطان قبل الأخير في دولة المماليك الثانية اهتم بعقبة أيلة وبالمدينة نفسها، فأصلح طريقها

(1) المقرئزي، الخطط، ج1، ص 345.

(2) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج9، ص 60.

(3) أبو المحاسن، المصدر السابق، ج9، ص 104.

(4) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 204.

ومهدها وبنى رصييفا جديدا في مينائها كما اهتم بالطريق بين مصر والعقبة فبنى الخانات والأبراج خدمة للحجاج والمسافرين منها: خان الازلم و برج عجرود، و برج نخل وكلها في سيناء وجدد خان العقبة وحفر الآبار في عدة مواضع⁽¹⁾، وأثبت ذلك في نقش حجري وجد في مقعد الباشا اكتشفه نعوم شقير هذا نصه:

«أمر بقطع هذا الطريق المبارك السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري عز نصره وكان الواقف في هذا المكان الأمير ... (؟) خان (؟) تاسع عشر (؟)»⁽²⁾

ومما لا شك فيه أن اهتمام قانصوه الغوري بأيلة وعقبته ومنطقة سيناء وجدة كان بسبب الأخطار البرتغالية التي ما فتئت تدق أبواب البحر الأحمر وتتدخل في تجارته وملاحظته.

ورث العثمانيون مهمة المحافظة على عروبة البحر الأحمر من التدخل الأوروبي، فما أن استقرت لهم الأمور حتى أرسلوا الأساطيل إلى سواحل الحجاز وعدن بعد أن هدد البرتغاليون جدة نفسها⁽³⁾. فكان لزاما عليهم العناية بالثغور والموانئ المطلة على البحر الأحمر ومن بينها أيلة (العقبة)، فجددوا بناء قلعتها. فالسلطان مراد الثالث (1574-1595م) قام في سنة 996هـ (1587م) بتجديد قلعة العقبة وأثبت ذلك في لوحة على واجهة القلعة هذا نصه:

«لمولانا السلطان الملك الأشرف مراد بن سليم خان عز نصره جدد هذه القلعة».

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ط الشعب، ص 779، 1044.

(2) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 204.

(3) ابن إياس، المصدر السابق، ص 1044.

وهناك نقش آخر داخل البوابة هذا نصه:

«لمولانا السلطان مراد بن سليم عز نصره جدد هذه القلعة سنة 996هـ»⁽¹⁾

وكان العثمانيون قد أولوا طريق الحجاج عبر بلاد الشام عناية خاصة فبنوا وأعادوا بناء بعض الخانات والقلاع وشحنوها بالعساكر: منها قلعة أيلة، وخانات (قلاع) القطرانة، ومعان، وذات حج، وتبوك. ففي سنة 967هـ (1559م) عهد السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد العثماني إلى والي دمشق القيام بهذه المهمة⁽²⁾. أما أيلة نفسها بقيت سوقا تجارية واسعة، ففي القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) زارها الرحالة الورثيلائي فقال: «وفيها سوق لا يكاد أن يحصى ما فيها من أنواع البز والثياب والأمتعة والأطعمة وأنواع الخير من كعك وخبز وأنواع الطباخ وغيره من أبزاز منوعة الأجناس ومفترقة الأصناف. وهو بندر عظيم يكاد أن يكون في أسواقه مثل المدينة فهو يشبهها في الارتفاق به والاستعداد منه للزاد، فترى الحاج كأنه جدد السفر لحصول الاستراحة فيه، وفيه ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأبصار، أو المملذوذ والبز المتنوع، وكذا الفواكه فيه صنوان تساق من غزة وأطرافها من نواحي الشام»⁽³⁾. وقال: «إن في العقبة قلعة فيها حامية عسكرية مزودة بالمدافع، بالإضافة إلى وجود قصر يودع فيه الحجاج ودائعهم وبضائعهم لوقت الرجوع»⁽⁴⁾.

ثم أصبحت العقبة ضمن أملاك محمد علي باشا والي مصر، فكانت حامية العقبة والحالة هذه مصرية بلغ عدد جنودها ثلاثون جنديا يستبدلون بغيرهم فترة بعد

(1) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 195.

(2) الغزي، الكواكب السائرة، ج 3، ص 157.

(3) الورثيلائي، الرحلة الورثيلائية، ص 366، 367.

(4) الورثيلائي، المصدر السابق، ص 367، 368.

أخرى. وبقي الأمر كذلك حتى سنة 1892م فاستلمت تركيا العقبة من محمد علي⁽¹⁾، وذلك بعد دخول مصر تحت الاحتلال البريطاني، وأرسلت تركيا إلى العقبة حامية عسكرية كانت تستبدلها عن طريق السفن بحرا.

(1) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج2، ص 206.

الفصل الرابع

الصراع الدولي في السيطرة على البحر الأحمر

1- في العصر المملوكي

2- في العصر العثماني

أ- صراع القوى العظمى على خطوط المواصلات الدولية

ب- حادثة طابا في خليج العقبة

1- في العصر المملوكي

بدأ نشاط الاكتشافات الجغرافية الأوروبية منذ أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، وتركزت بادئ ذي بدء على اكتشاف طريق جديد للوصول إلى الهند، وكانت البرتغال سبّاقة في هذا المجال فوجهت الحملات لاكتشاف الساحل الغربي لإفريقية وبدأها الأمير هنري الملاح Henry the Navigator سنة 1418م، إلى أن تمكن الملاح بارثلميو دياز Bartholomew Dias من الوصول إلى أقصى الطرف الجنوبي للقارة الإفريقية سنة 1486م واكتشاف رأس الرجاء الصالح. وكان ذلك تمهيدا لرحلة فاسكو دي جاما Vasco de Gama الذي أكمل عملية الالتفاف حول إفريقية والوصول إلى ميناء (قاليقوط) الهندي سنة 1498م⁽¹⁾.

وهناك دوافع عديدة جعلت البرتغاليين يدقون أبواب الشرق ويصلون إلى مياه المحيط الهندي، في مقدمتها التنافس التجاري والاقتصادي الأوروبي، ووضع حد لاحتكار الدولة المملوكية للتجارة الشرقية وتحكمهم في فرض أسعارها التي كانت في ازدياد⁽²⁾. فهي تتذبذب حسب حاجة السلطان للأموال نتيجة طبيعية للظروف القاسية التي كانت تعانيها الدولة المملوكية داخليا وخارجيا، آخذين بعين الاعتبار ما

(1) محمد عبد العال، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه (نصوص تاريخية من كتاب بامخرمة)، الإسكندرية، 1980م، ص 67.

Kammerer, Le Mer Rouge, T. II, P. 9.

(2) ابن حجر، أنباء الغمر، ج 3، ص 47.

للأسباب الدينية من دوافع هامة في الوصول إلى الهند والسواحل الإفريقية ووضع حد للنفوذ الإسلامي في تلك الأصقاع.

ومن الملاحظ أن الوجود البرتغالي في المحيط الهندي وسواحل الهند بدأ في عهد السلطان الأشرف قايتباي، ولكن المواجهة المملوكية للقوى الأوروبية تأخرت حتى عهد السلطان الأشرف قانصوه الغوري. وباعتقادي أن سبب هذا التأخير أن الدولة المملوكية كانت آنذاك في شغل شاغل بسبب حروبها الطاحنة ضد العثمانيين، والقوى الصليبية الأخرى في البحر المتوسط⁽¹⁾. بالإضافة إلى ظروفها الداخلية الحرجة وتعرض البلاد المصرية والشامية إلى الطواعين والأوبئة والجفاف⁽²⁾، مما أدى إلى هلاك أعداد كبيرة من الجيش المملوكي⁽³⁾، وتراجع كبير في قوتها الاقتصادية وثرواتها المالية فانعكس ذلك على قواها العسكرية والدفاعية، فلم تجد الدولة الأموال الكافية لبناء الأساطيل البحرية، وإعداد الجيوش لإرسالها إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي. فجملة ما صرفته الدولة المملوكية على حروب العثمانيين 7.650.000 دينار وهذا مبلغ كبير أنك الدولة وأثار تعجب المؤرخ ابن إياس⁽⁴⁾.

ثم أن السلطان قانصوه الغوري قام بإجراءات عديدة لوقف التوسع البرتغالي في المحيط الهندي والبحر الأحمر، فبدأ الاستعدادات لبناء الأساطيل وتزويدها

(1) ابن إياس، ط الشعب، ص 547، 550، 553، 554، 556، 558، 559.

(2) المصدر نفسه، ص 569، 632، 633، 880.

(3) المصدر نفسه، ص 876-877 وانظر للباحث، الطاعون والجفاف، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان 13، 14، عام 1983، ص 74 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ص 593.

بالأسلحة الحديثة وإرسالها إلى اليمن والمحيط الهندي رغم الضائقة المالية التي ورثها، والفتنة التي أثارها الأجناد الجلبان. مما اضطره إلى جمع الأموال عن طريق المصادرات وأخذ أجره سبعة أشهر معجلا من أصحاب الأملاك، كل ذلك للإنفاق على العساكر⁽¹⁾. ويذكر ابن إياس أن هذا التصرف أدى إلى قيام فتنة كبيرة في القاهرة ودمشق كادت أن تؤدي إلى خرابها⁽²⁾. ثم أن السلطان اضطر إلى ضرب الفلوس الجدد فتعطلت الأسواق من البيع والشراء بسبب تلك الفلوس التي كانت تخسر الثلث في المعاملة⁽³⁾.

ورغم كل الظروف والمعوقات فقد تمكن السلطان قانصوه الغوري من السيطرة على الأمور الداخلية، وثبت قواعد ملكه، ونظم جيشه وعين فيه الأمراء بجميع الرتب، وعين النواب في النيابات⁽⁴⁾. وأخذ يستعد لمواجهة الأخطار الخارجية التي تهدد دولته والمتمثلة بالخطر العثماني والصنوي، والخطر الفرنجي في البحر الأحمر والمحيط الهندي.

ففي سنة 911هـ (1505-1506م) عين السلطان قانصوه الغوري أول تجريدة على الهند (بسبب تعبث الفرنج بسواحل الهند)⁽⁵⁾. وهذا يعني أن المماليك تأخروا مدة سبع سنوات بعد وصول البرتغاليين إلى الهند وتسعة عشر عاما بعد وصولهم إلى رأس الرجاء الصالح.

(1) ابن إياس، ط الشعب، ص 692 .

(2) المصدر نفسه، ص 693، 697 .

(3) المصدر نفسه، ص 695، 701 .

(4) المصدر نفسه، ص 702، 703، 704 .

(5) ابن إياس، المصدر السابق، ص 734 .

ومما أنفقه السلطان على هذه الحملة أن خصص لكل مملوك عشرين ديناراً وصرف لهم جامكية (راتب) أربعة أشهر معجلاً، فكانت جملة ما صرف لهم نحواً من خمسين ديناراً لكل شخص. ويقول ابن إياس أن عسكر هذه الحملة كان ملفقاً ما بين أولاد ناس، وبعض المماليك السلطانية، والغالب فيهم مغاربة وعبيد سود رماة وتراكمة وغير ذلك⁽¹⁾. وتحركت هذه الحملة من السويس في نفس العام ومعهم النجارين والفعلة لبناء الأبراج في جدة التي ستكون مركزاً للأسطول المملوكي، وعين لقيادة هذه الحملة القائدان: حسين المشرف، والخواجه نور الدين علي المسلاني⁽²⁾. أضف إلى ذلك فإن قانصوه الغوري قام ببناء الأبراج والقلاع في سيناء والعقبة وندب المهندس خاير بيك المعمار لبناء أبراج العقبة وإصلاح عقبتها⁽³⁾، وعين في العقبة جماعة من المماليك يقيمون فيها سنة ثم يعودون على مصر ويتوجه آخرون غيرهم، وذلك حماية للفوهة الشمالية للبحر الأحمر من عبث البرتغاليين. وزيادة في الحيلة أنشأ قانصوه أبراجاً أخرى في عجرود، ونخل، والالزم على الطريق بين العقبة والقاهرة وشحنها بالعساكر والمعدات⁽⁴⁾.

أن السبب الذي جعل قانصوه الغوري يسرع في إرسال حملته هذه وبناء الأبراج في شمال البحر الأحمر ووسطه، الوجود البرتغالي في البحر الأحمر. فالنصوص التاريخية المتوفرة تظهر أن الوجود الفرنجي (البرتغالي) في البحر الأحمر كان قبل

(1) المصدر نفسه، ص 736.

وهذا النص يؤكد ضعف الجيش المملوكي الذي فتكت به الطواعين فاضطرت الدولة إلى تجنيد هذه الفئات غير المتجانسة.

(2) المصدر نفسه، ص 736.

(3) المصدر نفسه، ص 774،

(4) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 779.

سنة 911هـ (1505م)، فقد تمكنوا قبل هذا التاريخ من اجتياز باب المنذب صعدا نحو الشمال وصاروا يعترضون المراكب التجارية الإسلامية القادمة من الهند وعدن إلى جدة والسواحل الحجازية فينهبون ويفتكون، وازداد عددها حتى بلغت عشرين مركبا⁽¹⁾، وشكلوا خطورة على المقدسات الإسلامية في الحجاز، عندئذ اضطرت الدولة المملوكية إلى الإسراع بإعداد أولى الحملات البحرية المملوكية رغم ظروفها القاسية لمواجهة التحدي البرتغالي للديار الحجازية والبحر الأحمر وقد تمكنت القوات المملوكية من الاستيلاء على (سواكن) بالامان في الساحل الغربي للبحر الأحمر، وذلك بعد أن قضوا على الفتنة في ميناء (الينبع) المواجهة للمدينة المنورة⁽²⁾. ثم واصلت الحملة سيرها إلى الجنوب فوصلوا إلى جدة فرضة مكة المكرمة على البحر الأحمر فبنوا الأسوار والأبراج حولها للتمكن من صد الأخطار البرتغالية والأوروبية⁽³⁾. وهكذا تمكن المماليك من إعادة سيطرتهم وهيبتهم على السواحل الشرقية والغربية للبحر الأحمر، وكان لا بد من إحكام سيطرتهم على مداخله الجنوبية عند عدن وباب المنذب.

وتجدر بنا الإشارة إلى ملاحظتين الأولى: أن الدولة المملوكية في غمرة مواجهتها للبرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي كانت حدودها الشرقية تتعرض لتهديد من قبل الصفويين في إيران⁽⁴⁾. والثانية: أنه عند ظهور الخطر الفرنسي

(1) المصدر نفسه، ص 752.

(2) المصدر نفسه، ص 743.

(3) ابن إياس، المصدر السابق، ص 726، 743.

يحيى بن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، 1968م، ق2، ص 631.

(4) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 757، 758، 760، 999.

في البحر الأحمر والمحيط الهندي كانت الدولة العثمانية على علم بذلك، وكانت هي نفسها تحارب على الجبهة الأوروبية، لذا أرسلت سفراءها إلى المماليك من بينهم قائد عثماني كبير اسمه (كمال)⁽¹⁾. كان من أبرز القواد الأتراك في الحروب الأوروبية، قدم إلى القاهرة سنة 913هـ أثناء وجود الحملة المملوكية في البحر الأحمر. وأرى أن الدولة العثمانية بدأت تحسن من علاقاتها مع المماليك وتقدم لهم الخبرة والمشورة والأسلحة للوقوف عن كذب على ماهية الوجود الأوروبي في المحيط الهندي والبحر الأحمر، خصوصاً وأن الوجود الأوروبي في المحيط الهندي والبحر الأحمر كان ردة فعل صليبية أوروبية ضد السيطرة الإسلامية على تجارة المشرق وضد الاجتياح العثماني لأوروبا.

وقد حاول البرتغاليون السيطرة على مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي بالاستيلاء على مضيق باب المندب ومضيق هرموز، ففي سنة 908هـ (1502م) استولوا على سبعة مراكب إسلامية قادمة من الهند. ويقول يحيى بن الحسين كان هذا أول ظهور الافرنج في بحر الهند وسواحل بنادر اليمن، وكانوا يخرجون من بحر الظلمات من وراء جبال القمر⁽²⁾، ويذكر أيضاً أن الفرنج كانوا من طائفة البرتقال (البرتغال)، أما اللونده (الهولنديون) والانجيز (الانجليز)، والقرنصيص (الفرنسيون)، فسكناهم في الهند متقدم على هذا التاريخ⁽³⁾. ثم ازدادت شوكة البرتغاليين سنة 912هـ (1506م) فاستولى قائدهم ترستان داكونها Tristan da Cunha

(1) المصدر نفسه، ص 758.

(2) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ق 2، ص 630، 631.

(3) المصدر نفسه، ص 632.

لا شك أن ابن الحسين كان مخطئاً في هذه المعلومة، فوجود الدول الأوروبية الأخرى في المحيط الهندي والمشرق الأقصى كان بعد الوجود البرتغالي هناك وليس قبله.

على جزيرة سوقطرة، ثم أرسل قواته لإغلاق باب المنذب تمهيدا للاستيلاء على عدن وجدة. أما مدينة هرموز فقد تمكنوا منها سنة 913هـ (1507م)⁽¹⁾، وفرضوا على أهلها جزية سنوية مقدارها 15000 دينار، وبذلك أصبحت تجارة وملاحة الخليج العربي تحت رحمتهم ومراقبتهم. إزاء ذلك تحرك الأسطول المملوكي -المتمركز في جدة- بقيادة حسين الكردي فوصل إلى عدن سنة 913هـ (1507م) فتلقاه أميرها مرجان الظافري بالحفاوة والترحاب⁽²⁾، ثم واصل الأسطول المملوكي إبحاره في المحيط الهندي فوصل كجرات على الساحل الهندي، فرحب به سلطانها مظفر شاه بن محمود شاه وأمدّه بالأموال⁽³⁾، وبمعاونة من أساطيل الممالك الهندية المسلمة المتحالفة تمكن حسين الكردي من الانتصار على الأسطول البرتغالي في معركة شول البحرية Chaul سنة 913هـ (1508م) وقتلوا قائده لورنزو دالميدا⁽⁴⁾.

إلا أن فرنسيسكو دالميدا نائب الملك البرتغالي في المياه الهندية استطاع أن يعيد تنظيم القوات البرتغالية وأن يفاجم الأسطول المملوكي ويهزمه في معركة ديو Diu البحرية سنة 914هـ (شباط 1509م) وهي جزيرة صغيرة تقع قرابة شاطئ الهند عند جيكرات⁽⁵⁾، وأرغم الأمير حسين الكردي على الانسحاب بما تبقى من قطع أسطوله والعودة إلى جدة⁽⁶⁾. ونتيجة لذلك أرسل الملك محمود شاه صاحب كنباية وآخرون

(1) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 636.

محمد عبد العال، نصوص جديدة من مشاهدات المؤرخ اليمني با مخرمة، من كتاب (البحر الأحمر)، ص 98، 99.

(2) يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ص 636.

(3) المصدر نفسه، ص 636.

(4) ابن إياس، المصدر السابق، ص 773.

(5) يحيى بن الحسين، المصدر السابق، 623.

(6) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 864، محمد عبد العال، المرجع نفسه، ص 109، 110.

من ملوك الهند سفارة إلى السلطان قانصوه الغوري يطلبون منه سرعة تجهيز القوات وإرسالها إلى الهند للوقوف في وجه البرتغاليين الذين (تزايد أمرهم وطمعوا في أخذ البلاد) في حين كسروا حسين الكردي في موقعه ديو السالفة الذكر⁽¹⁾.

ازدادت الأطماع البرتغالية بعد معركة ديو في الاستيلاء على عدن والبحر الأحمر، فغادر القائد البرتغالي دالبوكيرك سنة 918هـ (1513م) ميناء جوا الهندي بأسطول عدته عشرون سفينة⁽²⁾ للاستيلاء على البحر الأحمر وعدن والخليج العربي والاتصال بالحبشة لإقامة تحالف معهم ضد الدولة المملوكية، وهي إستراتيجية قديمة استغلها الرومان والبيزنطيون ومن بعدهم الصليبيون في فلسطين وذلك لجعل الحبشة قوة تهدد وتتدخل في شؤون البحر الأحمر والجنوب العربي والحجاز. وفي أوائل سنة 919هـ وصل الأسطول البرتغالي إلى عدن⁽³⁾، فتصدى لهم أميرها مرجان الظافري وقتلوا منهم عددا وفوتوا عليهم فرصة الاستيلاء على المدينة، فرحلوا عن عدن وتوجهوا نحو البحر الأحمر فمروا بباب المنذب وبعض الموانئ اليمنية مخا والبقة والحديدة دون أن يتعرضوا لها. ثم واصلوا سيرهم فوصلوا جزيرة كمران في أوائل صفر 919هـ (نيسان 1513م) فاستولوا عليها وأرسوا أسطولهم فيها وأقاموا هناك مدة ثلاثة أشهر ونصف⁽⁴⁾، ثم أعادوا الكرة للاستيلاء على عدن ولكنهم لم يتمكنوا منها للمرة الثانية لحصانتها وشراسة المقاومة التي أبدتها قواتها⁽⁵⁾.

(1) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 799.

(2) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 752، 891.

(3) با مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج 1، ص 16.

(4) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 891، 923.

يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ص 640.

(5) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 877.

يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 640.

كان لدخول الأسطول البرتغالي مياه البحر الأحمر ردة فعل كبيرة لدى الأمير بركات شريف مكة، والسلطان المملوكي قانصوه الغوري، فعمل الشريف بركات على تعزيز القوات في جدة، خصوصا وأن قائد الأسطول المملوكي حسين الكردي كان آنذاك في القاهرة⁽¹⁾. فأمر السلطان قائده حسين الكردي العودة إلى جدة لمنع البرتغاليين من احتلالها وحماية المقدسات الإسلامية في الحجاز. فعاد حسين الكردي إلى جدة سنة 919هـ (1513م)⁽²⁾، وكان الخطر البرتغالي قد استشرى في الجنوب العربي والبحر الأحمر وأصبح يشكل خطورة حقيقية على تلك المناطق، فأرسل حسين الكردي نائب جدة رسالة إلى قانصوه الغوري يعلمه: «أن الفرنج قد زاد عبثهم بسواحل الهند وملكوا كمران ... وربما يخاف على جدة من الفرنج»⁽³⁾. فسارع الغوري إلى بناء أسطول جديد في السويس بمساعدة المهندسين والفنيين العثمانيين الذين لبوا دعوة قانصوه للوقوف في وجه المد البرتغالي الاستعماري في البحر الأحمر وحماية الأماكن المقدسة. فبنوا عشرين قطعة بحرية، ست سفن صغيرة بكل منها ثمانية مدافع، اثنان كبيران في المقدمة والمؤخرة، وأربع عشرة سفينة كبيرة كل قطعة زودت بعشرين مدفعا. وبعد أن تمت الاستعدادات لإقلاع الأسطول عين السلطان قانصوه الغوري الأمير سلمان العثماني قائدا له، وطلب منه الانضمام بسفنه وقواته الستة آلاف إلى أسطول حسين الكردي وقواته في جدة، فأقبح الأسطول المملوكي من السويس في رجب 921هـ (1515م).

(1) محمد عبد العال، المرجع السابق، ص 124، 125.

(2) المصدر نفسه، ص 877.

(3) المصدر نفسه، ص 923.

سار الأسطول المملوكي من جدة باتجاه الجنوب، فوصلوا جزيرة كمران فأقاموا فيها مدة خمسة أشهر، وبنوا فيها قلعة ذات أبراج وتحصينات قوية⁽¹⁾. ولكن القوات المملوكية لم

تلق الترحيب والحفاوة ولا حتى المعونة من حكام اليمن بسبب ظروف خلافاتهم وصراعاتهم الداخلية وحاولوا زج الأسطول المملوكي في هذه النزاعات واستغلاله لتحقيق مآربهم وأطماعهم الشخصية⁽²⁾ وفعلا تمكن الأمير حسين الكردي من احتلال مدينة زيد في جمادى الأولى 922هـ (1516م) من عبد الملك شقيق السلطان عامر بن عبد الوهاب⁽³⁾، الذي رفض مساعدة قوات حسين الكردي في حربها ضد الفرنج وتقديم المساعدة لقواته من ميرة وطعام⁽⁴⁾. وعين على زيد المملوك برسباي واليا ومعه بعض القوات المملوكية، ثم عاد إلى أسطوله في عرض البحر⁽⁵⁾ وواصل سيره إلى عدن، فوصلها في جمادى الآخرة 922هـ (1516م)، وحاول السيطرة عليها ولكن مقاومة أهلها وحصانة دفاعاتها حالت دون تحقيق

(1) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 1037.

يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 642، 644.

(2) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 642، 643.

محمد عبد العال، المرجع نفسه، ص 141.

(3) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 1037.

با مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج 1، ص 23.

يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 646.

(4) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 643.

(5) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 1037.

يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 647.

ذلك⁽¹⁾ مما دعا الأسطول المملوكي العودة إلى جدة في شعبان 922هـ (1516م). ولم تشر المصادر عن نشوب قتال بين هذا الأسطول والبرتغاليين، والظاهر أنه انشغل في التدخل في أمور اليمن الداخلية، تاركا المجال للأساطيل الأجنبية لتكريس وجودها في المحيط الهندي والخليج العربي.

ومما لا شك فيه أن الدولة المملوكية حاولت قدر استطاعتها وضع حد للوجود البرتغالي في الهند والبحر الأحمر والخليج العربي، وعملت رغم ظروفها الصعبة داخليا وخلو خزانة الدولة من الأموال وافتقارها للمواد الإستراتيجية العسكرية من مدافع وبنادق وأخشاب وملح بارود على وقف هذا المد ولم يقتصر عملها في الداخل فحسب، بل إنها واكبت الأحداث والتطورات الدولية آنذاك، وأرسلت السفارات إلى تلك الدول معلمة إياها بالوجود البرتغالي في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر. ونشطت الدبلوماسية المملوكية في هذا المجال حتى أن السلطان قانصوه الغوري استقبل في سنة 918هـ (1512م) أربع عشرة سفارة في شهر واحد منها سفارة إسماعيل الصفوي، وسفارة ملك الكرج، وسفارة ابن رمضان أمير التركمان، وسفارة ابن عثمان سلطان العثمانيين وسفارة يوسف بن الصوفي خليل أمير التركمان، وسفارة صاحب تونس ملك المغرب، وسفارة الملك مظفر شاه بن محمود شاه صاحب كنباية في الهند، وسفارة ابن درغل أمير التركمان، وسفارة علي دولات، ورسلا من أمير مكة ونائب حلب، وحسين الكردي نائب جدة. أما سفارات الدول الأوروبية فهي سفارة ملك فرنسا، وسفارة دوق البندقية⁽²⁾.

(1) با مخرمة، المصدر نفسه، ص 21، 23.

يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 648.

(2) ابن إياس، المصدر السابق، ص 852، 864.

لقد حاولت الدولة المملوكية الارتقاء إلى مستوى الأحداث فلم تجد غضاضة في طلب المعونة من معظم الممالك والإمارات الإسلامية، وفي مقدمتها الدولة العثمانية وقد لبّت الأخيرة الدعوة وأرسلت إليها الخبرة والفنيين والمدافع والقوات العسكرية للوقوف في وجه المد الأوروبي الاستعماري في الشرق الأدنى والمحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي.

ولكن الدولة العثمانية لم تمهل المماليك لالتقاط أنفاسهم فانتهزت فرصة انشغال المماليك في حروبهم ضد البرتغاليين ووجود أساطيلهم في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي، فاجتاحت شمال الشام وانتصروا على المماليك في معركة مرج دابق 25 رجب 922هـ، وقتلوا السلطان قانصوه الغوري، وأنهوا الدولة المملوكية في مصر والشام، ومما تجدر ملاحظته أن عودة الأسطول المملوكي من مهمته العسكرية في عدن إلى جدة كان بعد معركة مرج دابق بشهر واحد.

2- في العصر العثماني

أ- صراع القوى العظمى على خطوط المواصلات الدولية

في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ظهرت قوة جديدة على مسرح الأحداث في مصر وبلاد الشام، وأصبح العثمانيون هم سادة البلاد ناهيك عن تواجدهم على مسرح الأحداث الأوروبية واستيلائهم على أجزاء كبيرة منها. فالدولة العثمانية لم تكن بمنأى عن العبث الأوروبي في مقدرات الشرق والساحل الإفريقي، بل إن الدولة العثمانية كانت على اطلاع تام بما يجري في المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي، وكان هناك تبادل للمعلومات والسفارات بين الجانبين المملوكي والعثماني، من ذلك إرسال السلطان العثماني بايزيد الثاني في سنة 913هـ (1507م) قائده (كمال) وكان وصوله أثناء وجود الأسطول المملوكي في البحر الأحمر في طريقه إلى عدن والهند. ويعتبر القائد كمال من أبرز القادة العثمانيين في الحروب الأوروبية⁽¹⁾، والظاهر أنه قدم إلى القاهرة للاطلاع عن كثب على ماهية الخطر البرتغالي والتدخل الأوروبي في المحيط الهندي والجنوب العربي وليقدم النصح والمشورة للمماليك في حربهم ضد البرتغاليين. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن الدولة العثمانية كانت أكثر تقدماً في تقنية الصناعات العسكرية بحكم احتكاكها المباشر مع أوروبا في حروب طاحنة، بل كانت أكثر إماماً بأساليب الحروب الحديثة

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص 758.

وإدخال البنادق والمدافع إلى قواتها العسكرية بينما ظلت الدولة المملوكية تحتفظ بالأسلوب الكلاسيكي القائم على الفروسية وهو أساس تركيبها وتنظيمها العسكري أضف إلى ذلك أن الدولة العثمانية زودت المماليك بالأخشاب والمدافع وملح البارود، وهي سلع إستراتيجية لم تكن متوفرة لدى المماليك. ففي سنة 916هـ (1510م) أرسلت القاهرة الأمير يونس العادلي إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني لشراء الأخشاب والحديد والبارود، فرد السلطان المال، وجهز الأسلحة اللازمة للسلطان دون مقابل⁽¹⁾ وهي:

مدفع	300
سهام نشاب	30 ألف
قنطار من البارود	40
مقذاف من الخشب	2 ألفا

وغير ذلك من نحاس وحديد ومجل وحبال ومراسي حديد مما تحتاجه المراكب⁽²⁾. وفي سنة 918هـ (1513م) أرسل قانصوه الغوري الرئيس حامد المغربي إلى السلطان سليم الأول ليشتري أخشابا وحبالا ومكاحل نحاس (مدافع) فأكرمه ابن عثمان ولبى طلبه⁽³⁾ أضف إلى ذلك أن العثمانيين قدموا للمماليك الخبرة والمشورة في صناعة السفن الحربية المتطورة، ففي سنة 921هـ (1515م) بني في دار السفن بميناء السويس بمساعدة عثمانية عشرون مركبا حريبا، ستة منها صغيرة،

(1) ابن إياس، المصدر نفسه، ص 816.

(2) المصدر نفسه، ص 810.

(3) المصدر نفسه، ص 862.

وأربعة عشر مركبا كبيرا، سلحت المراكب الصغيرة بثمانية مدافع والكبيرة بثلاثين مدفعا. بل إن المساعدة العثمانية للمماليك تمثلت كذلك في إرسال ألفي جندي بقيادة الرئيس سليمان العثماني أبحرت مع الأسطول الذي بني في السويس والتحقت بقوات حسين الكردي في جدة⁽¹⁾. وكانت هذه القوات موجودة تجاه ساحل عدن عندما انكسرت الدولة المملوكية على يد السلطان سليم الأول في مرج دابق سنة 922هـ (1516م)، فعاد القائدان سلمان العثماني وحسين الكردي إلى جدة بانتظار التعليمات من السلطان الجديد.

لا شك أن الوجود العثماني في البحر الأحمر والمحيط الهندي أثار حفيظة القوات الأوروبية التي بدأت تتطلع بخوف وحذر إلى القوة العثمانية التي ما فتئت منذ سنين طويلة تهاجمهم في عقر دارهم. وها هي الآن تقف في وجه أطماعهم ومصالحهم في تجارة الشرق الأقصى، خصوصا بعد أن استولت على مصر والشام والحجاز والبحر الأحمر. وبدأ الصدام العسكري أمرا محتما، ففي سنة 923هـ (1517م) وصل إلى ساحل عدن أسطول برتغالي من ثلاثين مركبا بقيادة لوبو سواريز قادما من ميناء (جوا) في الهند. وراسلوا مرجان الظافري عامل عدن عارضين عليه المساعدة ضد القوات المملوكية والعثمانية، فاجتمع مرجان بهم في الساحل وقدم لهم الضيافات وزودهم بأربعة من البحارة المرشدين للوصول إلى ميناء جدة. ولكن مرجان عاد فأرسل سفارة إلى السلطان العثماني سليم شاه يطلب منه العفو والصفح على ما فعله مع الفرنج متعللا أن سبب ذلك ما فعله حسين الكردي وسلمان باشا من سفك دماء أهل اليمن و عدن⁽²⁾. وقد واصل الأسطول البرتغالي سيره إلى الحجاز

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص 970، 971، 975، 976.

(2) با مخرمة، نصوص تاريخية من كتاب البحر الأحمر لمحمد عبد العال، ص 204.

فاستعد له القائد العثماني سلمان باشا وهزمهم وظفر بمركب من مراكبهم، مما اضطر الأسطول البرتغالي أمام عنف المواجهة إلى مغادرة سواحل جدة إلى عدن ومنها إلى الهند⁽¹⁾. وكان هدف البرتغاليين من حملتهم هذه تدمير الأسطول المملوكي المرابط في ميناء جدة ومنع أي أسطول إسلامي الدخول إلى البحر الأحمر وبذا تتحقق أطماعهم في السيطرة على البحر الأحمر وسواحل الحجاز وتهديد مقدسات المسلمين تماما كمحاولات الصليبيين بقيادة أرناط في تهديد تلك المقدسات ولكن صلاح الدين فوت عليهم هذه الفرصة وأبقى البحر الأحمر بحيرة إسلامية. ولم تهدأ محاولات البرتغاليين وأطماعهم وحاولوا الاستفادة من التغيير الذي حدث في القيادة في كل من مصر والشام ومحاولة العثمانيين تثبيت أقدامهم في الأقطار الجديدة، فأعاد البرتغاليون إرسال أسطولهم في سنة 926هـ (1520م) بقيادة (ديبجو لوبيز دي سكويرا)، فوصلوا إلى جزيرة دهلك (جزيرة في البحر الأحمر بين اليمن والحبشة) في عشرين قطعة بحرية و1800 مقاتل وكان الأسطول العثماني بقيادة الأمير حسين بك أول نائب للعثمانيين في جدة ينتظرهم في ساحل اليمن ومعه ستة مراكب، ولما وجد أن لا قدرة له على مواجهة الأسطول البرتغالي عاد إلى جدة. فأبحر البرتغاليون في أثره، وأصبحوا في مواجهة ساحل جدة، ولكنهم لم يجروا على المواجهة لتأكدهم من قوة الأسطول الجاثم هناك فعادوا إلى عدن فأمدتهم واليها مرجان الظافري بما أمكن ورجعوا إلى هرموز ثم إلى الهند⁽²⁾ إزاء هذا التدخل البرتغالي في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي عمدت الدولة العثمانية إلى إرسال أسطول حربي وأربعة

(1) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص 658، با مخرجة نصوص من كتاب محمد عبد العال، ص 198، 199، 200.

(2) با مخرمة (نصوص من كتاب عبد العال)، ص 217.

يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص 663.

آلاف جندي إلى جدة، وعين السلطان العثماني سليمان بن سليم خان الأمير سليمان باشا واليا على جدة واليمن، وطلب منه محاربة الافرنج في البحر الأحمر والسواحل الهندية، فوصلت هذه القوات إلى جدة سنة 932هـ (1525م)⁽¹⁾، ويذكر يحيى بن الحسين أن الجنود العثمانيين لما وصلوا جدة عاثوا فيها ونهبوا أسواقها، فانقطعت الميرة عن جدة ومكة ووقع القحط الشديد، حتى صار الناس يضربون المثل بقحط سليمان، ثم أن سليمان استأثر بخراج مكة البالغ تسعون ألف دينار سنويا وحرّم الأشراف من نصيبهم الذي هو نصف هذا المبلغ⁽²⁾.

وقد تمكن سليمان باشا من الظفر والاستقلال باليمن بعد قضائه على مصطفى باشا والي زبيد العثماني، إلا أن أحد أقارب مصطفى ثار له فقتل سليمان وجماعة من أمرائه وتولى قيادة الأسطول العثماني وتوجه به إلى الهند حيث افتتح بندر الديو وبندر هورة من البرتغاليين وعظم شأنه في تلك الجهات ولكن أحد حساده قتله بالسّم⁽³⁾. وفي سنة 945هـ (1538م) أرسل السلطان سليمان بن سليم خان أسطولاً من سبعين قطعة بحرية بقيادة الباشا سليمان لمحاربة (الافرنج في السواحل اليمنية والتخوم الهندية)⁽⁴⁾، فوصل إلى جزيرة كمران، فكاتبه عامر بن داود الطاهري لمساعدته على الإمام شرف الدين الزيدي، فنزلت قواته عدن وألقى القبض على عامر الطاهري وعدد من أعوانه وشنقهم وبقتله انقرضت دولة بني طاهر من اليمن بالكلية⁽⁵⁾. وبسط سليمان سلطانه على عدن وعين فيها ثقاته، ثم توجه إلى الهند ولكن حملته لم تظفر

(1) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 667.

(2) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 667.

(3) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 668.

(4) يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ص 684.

(5) نفس المصدر، ص 684.

بطائل فرجع إلى اليمن، حيث تمكن من الاستيلاء على زبيد بعد أن قضى على من فيها من الجراكسة وبذلك انقطعت ولايتهم من بلاد اليمن، ثم حاول الاستيلاء على تعز ولكنه لم يوفق فعاد إلى مصر، بعد أن أوعز لنائبه في زبيد الأمير مصطفى بمهاجمتها⁽¹⁾.

لم تكن الأحوال في بلاد اليمن مستقرة حتى هذا التاريخ فالدولة العثمانية لم تبسط نفوذها كلياً على بلاد اليمن، وقام قوادها بعدة محاولات وخاضت عدة معارك وكان ذلك على حساب التصدي للقوات الفرنجية التي كانت تثبت أقدامها في الهند والمحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي، بل وجدوا من بعض حكام عدن الأعوان والحلفاء ففي سنة 953هـ (1546م) استولى علي بن سليمان البدوي على مدينة عدن واتحدت كلمته وكلمة الافرنج على محاربة جند السلطان⁽²⁾.

ويذكر المؤرخ قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني (ت 988هـ) أن الدولة العثمانية أرسلت إلى اليمن 80 ألف جندي لم يبق منهم سوى سبعة آلاف⁽³⁾، ولا شك أن هذا قد أجهد القوة العثمانية فانشغلت عن المهمة الرئيسية وهي محاربة ومطاردة القوى الأوروبية وإبعادها عن المحيط الهندي والسواحل الإفريقية ومنطقة الخليج العربي. وظلت الدولة العثمانية مشغولة في مستنقع الخلافات اليمنية طيلة السنوات 950-994هـ حتى تمكنت أخيراً من بسط نفوذها على جميع بلاد اليمن بعد أن تكبدت الكثير من الأموال والأرواح. وكانت فرصة ذهبية للبرتغاليين

(1) نفس المصدر، ص 685.

(2) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 697.

(3) نفس المصدر، ص 697.

استغلوها على أحسن وجه حيث استولوا على الأجزاء الإسلامية من بلاد الحبشة⁽¹⁾ وأصبح لهم وجود في الساحل الغربي للبحر الأحمر، وهذا ما رفضته الدولة العثمانية حيث أن إستراتيجيتها استهدفت إبقاء البحر بحيرة إسلامية ومنع أي اتصال أو تحالف بين القوى الأوروبية والحبشة. لذا أشار الأمير ازدمر والي اليمن وقائد القوات العثمانية فيها على السلطان سليمان الأول الاستيلاء على الحبشة فأذن له، وطلب من علي باشا والي مصر مساعدته، فأمدته بثلاثة آلاف مقاتل. فسار ازدمير بقواته من مصر برا إلى الحبشة فاستولى عليها وبنى فيها القلاع والحصول وأصبحت الحبشة منذ عام 962هـ (1554م) ولاية عثمانية⁽²⁾، وبذلك تأكدت السيادة العثمانية على جنوب البحر الأحمر ومضيق باب المندب، وحال العثمانيون دون أي اتصال بين الأحباش والقوى الأوروبية التي يمكن أن تستغلها في ضرب السواحل اليمنية والحجازية تماما كما فعلت في عصور سابقة.

وفي أوائل القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ظهرت في مداخل البحر الأحمر لأول مرة المراكب الانجليزية والهولندية، ولكنها بقيت في (مخا) ولم تواصل سيرها نحو الشمال. وظلت مخا مستودعا للتجارة الآسيوية من حيث كونها أقصى نقطة يكمن للمراكب الأوروبية ارتيادها، وبذلك استمر الحظر المضروب على ملاحه الدول الأوروبية في البحر الأحمر على حاله⁽³⁾.

(1) نفس المصدر، ص 708.

(2) يحيى بن الحسين، المصدر نفسه، ص 715.

(3) عز الدين فوده، البحر الأحمر في حماية آل عثمان، جريدة الشرق الأوسط العدد 1559 تاريخ

11/3/83م، ص 11.

أدت الثورة الصناعية في أوروبا إلى تطور كبير فيها، وأصبحت الحاجة ماسة إلى نقل الإنتاج المتزايد إلى أسواق الاستهلاك بأساليب نقل سريعة خصوصا وأن المراكب البخارية حلت محل المراكب الشراعية، وبدأ التنافس الاستعماري الأوروبي حول السيطرة على الطرق التجارية الهامة التي تربط الشرق بالغرب عبر منطقة الشرق الأوسط (Levant) والمتمثلة بطريقين هامين هما: طريق البحر الأحمر، وطريق الخليج العربي. وقد حاولت ممالك مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر الاستفادة من المركز الممتاز لمصر وفتح مجالات التجارة الدولية لها قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح، وقام بهذه المحاولة علي بك الكبير الذي حاول الاستفادة من الصراع الدولي على خطوط التجارة الدولية، خصوصا وأن فرنسا ظهرت كمنافس كبير لبريطانيا وتحكمها في طريق رأس الرجاء الصالح وتجارة المشرق. ففي هذه الفترة ازداد النشاط التجاري الفرنسي والانجليزي باتجاه ميناء جدة، وتطلعوا إلى إرسال سفنهم مباشرة من الهند إلى السويس، فوجدوا من علي بك الكبير استعدادا للمفاوضات، وتمكن الانجليز من عقد معاهدة معه سنة 1773م فتح بموجبها ميناء السويس لمراكبهم⁽¹⁾. وبذلك أصبح العلم الانجليزي أول الأعلام الأجنبية التي خفقت فوق مياه البحر الأحمر. وقد رفضت الدولة العثمانية هذه المعاهدة والوجود الأجنبي في مياه البحر الأحمر، ولكن ممالك مصر رفضوا الانصياع للباب العالي واستقلوا في اتخاذ قراراتهم، فبعد معاهدة علي بك الكبير مع الانكليز أصدر الباب العالي سنة 1774م قرارا جاء فيه:

«يعلمنا المؤرخون النصارى وهم طائفة مصطنعة وطموحة، كانوا منذ القدم يتذرعون بالخبث والقسر لتنفيذ أطماعهم الجبارة، فيدخل البعض منهم متكرين

(1) عز الدين فودة، المرجع السابق، ص 11.

كتجار إلى دمشق والقدس. وبهذا السبيل دخلوا الهند حيث أحال الانجليز أهلها إلى عبيد، وأخيراً تسلل بعض هؤلاء إلى مصر بتشجيع البكوات المماليك ومنها لتنفيذ هذه النوايا الخطيرة قد أمرنا فور علمنا بأولى العمليات التي قاموا بها سفيرها بالكتابة إلى ملكه لإصدار الأوامر إلى المراكب الانجليزية بعدم دخول مرفأ السويس. وقد وافق البلاط الانجليزي على هذا الطلب، فإذا تجاسرت إحدى المراكب الانجليزية، ورست في المرفأ المذكور فسوف تصادر حمولتها ويقبض على جميع الأشخاص الموجودين عليها ويسجنون إلى أن تصدر إرادتنا فيما يتقرر بهذا الشأن»⁽¹⁾.

ثم أن حكم مصر آل إلى محمد أبو الذهب الذي سار على سياسة سلفه وإفساح المجال للتجارة الشرقية لدخول مصر في طريقها إلى أوروبا، فسارعت انجلترا إلى عقد معاهدة معه سنة 1775م سعت من خلالها إلى إحياء الطريق التجاري القديم عبر الأراضي المصرية، الأمر الذي أثار سخط الباب العالي فأصدر «فرمانا» مطولا حظر فيه على الأجانب المرور في البحر الأحمر ومرافئه، ومما جاء فيه:

«لا نريد أن يقترب مركب للفرنجة من سواحل السويس لا علانية ولا سرا، إن بحر السويس هو بالإضافة إلى ما تقدم الطريق المجيد للحج إلى مكة. إن الإذن لهذه البواخر بالمرور الحر في هذا البحر يعتبر خيانة للدين وللسلطان وللإسلام قاطبة، لذلك فكل من يخالف هذا الأمر سوف ينال العقاب الذي يستحقه في الدنيا والآخرة»⁽²⁾.

إزاء ذلك جهدت الدولة الفرنسية إلى عقد معاهدة تجارية مع ممالك مصر في سنة 1785م لتسهيل عمليات النقل التجاري عبر الأراضي المصرية، وهكذا بدأ

(1) عز الدين فودة، المرجع السابق، ص 11.

(2) المرجع السابق، ص 11.

السباق بين الدولتين الانجليزية والفرنسية لعقد المعاهدات مع مصر لإحياء الطريق بين الشرق والغرب عبرها، وبدأ كل يفكر في الاستيلاء عليها والسيطرة على أقصر طريق بين أوروبا والهند. وكانت فرنسا السبّاقة في هذا المجال خصوصا بعد الثورة الفرنسية وقيام الحرب بين فرنسا وانجلترا سنة 1793م ومحاولتها ضرب المصالح الحيوية لكليهما. وقد خشيت انجلترا من أن تصبح مصر الولاية العثمانية قاعدة فرنسية موجهة ضد المصالح البريطانية خصوصا وأن تقاربا حدث بين الباب العالي والحكومة الفرنسية الجديدة. لذا سارعت بريطانيا إلى عقد معاهدة مع ممالك مصر سنة 1794م بموجبها نالت انجلترا تسهيلات في المواصلات والنقل وتيسيرات جمركية واعتبار انجلترا أكثر الدول رعاية Favoured nation ولكن السلطان سليم الثالث رفض توقيع هذه المعاهدة فأفقدتها شرعيتها⁽¹⁾.

ونتيجة لذلك أخذ المماليك يضايقون التجار الفرنسيين في مصر بالمصادرة وتعطيل أعمالهم، فأثار هذا التصرف الفرنسيين وأخذوا يفكرون جديا في الاستيلاء على مصر وتهديد الانجليز في الهند، وصدر القرار بتشكيل جيش الشرق بقيادة نابليون بونابرت وحددت أهدافه بما يلي:

- 1- الاستيلاء على مصر، وجعل السيادة الفرنسية مطلقة على البحر الأحمر وطرده الانجليز من مواقعهم التي يحتلونها.
- 2- وصل البحرين الأحمر والمتوسط بقناة.

واحتل نابليون مصر سنة 1798م ونجم عن ذلك الاحتلال تدخل الدول الأخرى ووقوفها في وجه التوسع الفرنسي وتحالف السلطان سليم الثالث مع انجلترا وروسيا

(1) عبد العزيز نوار، تاريخ العرب المعاصر، ص 74.

وأعلن الحرب على فرنسا⁽¹⁾، وفشلت هذه الحملة في تحقيق أهدافها ورحلت عن مصر سنة 1801م.

ظل الصراع عنيفا بين إنجلترا وفرنسا في الاستحواذ على طرق التجارة الدولية، وكانت فرنسا الأكثر تصميمًا في السيطرة على طرق البحر المتوسط فربطت موانئها بالموانئ السورية والمصرية والجزائرية منذ الثلث الأول من القرن التاسع عشر، واستفادت من العلاقات الحميمة التي تربطها بمحمد علي حاكم مصر، ففي سنة 1835م أنشأت أول خط بحري يربط مرسيليا بالإسكندرية⁽²⁾. ولكي تحول بريطانيا دون تدخل فرنسا في طرق التجارة الدولية عبر البحر الأحمر قامت في سنة 1839م باحتلال عدن وجعلت منها أكبر محطة لتزويد البواخر بالفحم، وأنشأت خطا ملاحيا بين مالطة والإسكندرية، وآخر يربط ميناء بورتسموث بالإسكندرية وخطا يربط بمباي بالسويس⁽³⁾، واستخدم البحر الأحمر على نطاق واسع منذ ذلك الوقت. ورغم قصر المسافة بين الإسكندرية والسويس إلا أن الحاجة بدت ضرورية لمد خط حديدي يربط السويس بالإسكندرية، وكان الخديوي عباس الأول قد منح هذا الحق للانجليز في سنة 1852م رغم معارضة الباب العالي. وفي المقابل كانت فرنسا تعمل من ناحيتها على شق قناة تربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط وكانت ترى أن هذه القناة أكثر جدوى وأهمية في خدمة حركة التجارة والمواصلات الدولية، واستفادت من العلاقات الطيبة التي تربطها بالخديوي سعيد باشا الذي منح حق شق القناة لشركة فرنسية عالمية سنة 1854-1856م. وبالمقابل عمدت إنجلترا إلى الترويج بمد

(1) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 76.

(2) المرجع نفسه، ص 423.

(3) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 421.

خط حديدي عبر العراق، وأصبح التنافس بين مشروع خط حديد العراق (الانجليزي) ومشروع شق قناة السويس (الفرنسي) على أعلى المستويات الدولية⁽¹⁾.

وهكذا صار الصراع قويا بين الدولتين الفرنسية والانجليزية للسيطرة على خطوط الاتصالات الدولية عبر البحر الأحمر والخليج العربي. ولكن افتتاح قناة السويس سنة 1869م كان تحولا حاسما في التاريخ وأصبح الطريق بين الشرق والغرب عبر قناة السويس الأكثر تفضيلا وتراحمت السفن من كل الجنسيات لعبور قناة السويس.

لا شك أن قناة السويس كانت عاملا هاما في أن تتوجه أنظار الحكومة البريطانية إلى السيطرة الفعلية على هذا الشريان الدولي الهام، فاحتلت قبرص سنة 1878م لتكون قريبة من مصر والقناة، وأخيرا احتلت مصر نفسها سنة 1882م، وبذا أصبحت القناة في قبضتهم وطريق البحر الأحمر تحت هيمنتهم وسطوتهم، ولأول مرة في التاريخ يصبح البحر الأحمر بحيرة غير إسلامية.

ومن الملاحظ أن الدولة العثمانية كانت حريصة على إبقاء البحر الأحمر بعيدا عن السيطرة الأوروبية كي تكون الأراضي المقدسة بمنأى عن الصراعات الدولية، ولكنها في نفس الوقت لم تكن قادرة على الوقوف بحزم أمام القوة البريطانية الاستعمارية العملاقة، نتيجة لظروفها الداخلية والدولية. ثم أنها أمام تدخل نابليون الثالث امبراطور فرنسا كانت قد وافقت على شق قناة السويس، ولكنها في اتفاقية القسطنطينية سنة 1888م المتعلقة بحرية الملاحة في قناة السويس تحفظت على

(1) المرجع نفسه، ص 428.

الفقرة الثالثة من المادة العاشرة، بأن لا تسري أحكام هذه المعاهدة على السواحل الشرقية للبحر الأحمر التي تحتوي على المقدسات الإسلامية بما فيها خليج العقبة. وبذلك استثنت الدولة العثمانية خليج العقبة ومضايقه من نظام حرية المرور الخاص بقناة السويس، ومعنى هذا إبقاء خليج العقبة خليجا عربيا إسلاميا مغلقا ليست له أية صفة دولية⁽¹⁾، مع احتفاظها بحق حماية السواحل الشرقية للبحر الأحمر والمقدسات الإسلامية في الحجاز.

أرادت الدولة العثمانية أن تبقى في رأس البحر الأحمر تظل عليه وترقب تحركات الدول الاستعمارية فيه، لذا أبقت خليج العقبة في قبضتها وتحت هيمنتها، وأبعدته عن حرية المرور الدولية، فهو والحالة هذه خليج مغلق. ثم حاولت جعل حدود مصر الشرقية بخط يمتد من العريش إلى السويس، وهذا يعني جعل شبه جزيرة سيناء تحت السيادة العثمانية.

وفي سنة 1887م تسلمت الدولة العثمانية القلاع من الوجه إلى العقبة من القوات المصرية وشحنتها بقوات عسكرية تركية⁽²⁾. وفي سنة 1892م أصدر السلطان عبد الحميد «فرمانا» جدد فيه إخراج سيناء من السيادة المصرية وبموجب ذلك سلمت العقبة للقوات العثمانية⁽³⁾. وقد أثار هذا «الفرمان» السلطات المصرية والانجليزية معا، واحتج كرومر المعتمد البريطاني في مصر، وأعلن أن سيناء تستمر تحت السيادة المصرية، وأرسل مذكرة إلى سفير بريطانيا في الاستانة الذي أبلغها بدوره للباب

(1) عز الدين فودة، المرجع السابق، ص العدد 1566، تاريخ 13 / 3 / 1983، ص 11.

(2) نعوم شقير، تاريخ سيناء والعرب، ص 588.

(3) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 588. عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج 2، ص 206. احمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء، ص 170.

العالي، فلم يجب الباب العالي عنها سلباً أو إيجاباً، وبالمقابل أنشأت الدولة العثمانية قائممقامية جديدة في بئر السبع سنة 1899م⁽¹⁾.

ثم أن السلطان عبد الحميد أراد أن يدخل قوة جديدة في الصراع حول خطوط المواصلات الدولية عبر منطقة الشرق الأوسط والبحر الأحمر وذلك بمنح وليم الثاني امبراطور المانيا سنة 1891م حق إنشاء خط حديد بغداد، مما أثار حفيظة بريطانيا فعملت على منح المانيا حق الحصول على هذا الامتياز. واحتج السفير البريطاني في الاستانة رسمياً لدى السلطان عبد الحميد طالباً أن تمتنع الدولة العثمانية عن إعطاء رأي قاطع بهذا الشأن إلا بعد أن تحاط علماً بوجهة النظر البريطانية تجاه هذا المشروع الخطير.

وقد أثار هذا التصرف سخط الدولة الالمانية فاحتجت لدى الحكومة البريطانية بأسلوب عنيف. ونتيجة لتشابك المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية والإفريقية قررت بريطانيا التخلي عن معارضتها لالمانيا فأبرق اللورد روزبري Lord Rosebery وزير الخارجية البريطانية في 9 كانون ثاني سنة 1893م إلى حكومة برلين مؤكداً "انه ليس لدى حكومة جلالة الملكة رغبة في اتخاذ أية خطوات غير ودية ضد النفوذ أو المصالح الالمانية في القسطنطينية"⁽²⁾.

إلا أن الصراع على خطوط المواصلات الدولية عبر المنطقة العربية يعود مرة أخرى إلى الظهور، بعقد بريطانيا اتفاقية مع الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت سنة 1899م، يقصد بها رفع يد العثمانيين عن الكويت ومنع التغلغل الالمانى إلى العراق وعرقلة خط حديد بغداد الذي كان من المقرر أن تكون نهايته في الكويت على الخليج

(1) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 589.

(2) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 428، 441.

العربي. وبذلك تمكن الانجليز من وضع يدهم على أقصر طريقين إلى الشرق الأقصى عبر السويس والبحر الأحمر والعراق عبر الخليج العربي. وفي غمرة هذا الصراع يبرز مشروع خط حديد الحجاز الذي كان مقررا أن ينتهي في (طابا) على خليج العقبة.

ب- حادثة طابا في خليج العقبة

أخذت الدولة العثمانية تسعى إلى مد خط حديد الحجاز لينتهي في طابا على خليج العقبة قرب (أيلة) للوقوف في وجه المشروعات الانجليزية الساعية إلى وضع يدها وهيمنتها على خطوط الاتصالات والمواصلات عبر الشرق الأوسط Levant وكان من الممكن أن تجعل الدولة العثمانية من العقبة ميناء دوليا يستقبل سفن الشرق الأقصى، ومن ثم تنقل السلع بواسطة الخط الحديدي عند طابا إلى الموانئ الشامية على البحر المتوسط. ولتحقيق ذلك عمدت إلى سلخ سيناء عن مصر خصوصا وأن الدولة المصرية بدأت تستقل عن الباب العالي منذ عهد محمد علي، بل إن خلفاءه من المماليك منحوا الامتيازات للدول الأجنبية فرنسا وبريطانيا، تلك الامتيازات التي مهدت لاحتلال مصر من قبل بريطانيا سنة 1882م للمحافظة على مصالحها الحيوية وللسيطرة على قناة السويس وخطوط المواصلات الدولية عبر البحر الأحمر والموانئ المصرية.

وقد فطنت الحكومة البريطانية لتحركات الدولة العثمانية هذه بالإضافة إلى أنهم يريدون حماية قناة السويس من أي تهديد قادم من الشرق. فكانت السيطرة على شبه جزيرة سيناء أمرا حيويا في إستراتيجيتها، ومن هنا عملت على منع التواجد العثماني

بها، خصوصا وأن الدولة العثمانية كانت تنظر بعين يقظة إلى كل هذه التطورات والمشاريع الاستعمارية في المنطقة، ولكن الظروف الدولية لم تكن في صالحها فرأينا أنها أنشأت قائممقامية جديدة في بئر السبع، لتكون قريية من سيناء ولملاحظة التحركات البريطانية في سيناء وجنوب فلسطين، بالإضافة إلى أنها أقامت بعض التحصينات العسكرية في سيناء قرب خليج العقبة، إحداها عند (عين القصيمة) وأخرى عند (مشاش الكنتلا) في وادي الجرافي، وذلك بعد أن أحكمت سيطرتها على فوهة خليج العقبة، وطرد القوات المصرية منها سنة 1892م. وكانت الدولة العثمانية تسعى إلى أن تبقى هذا الخليج والسواحل الشرقية للبحر الأحمر بمنأى عن الصراعات الدولية، وأن تجعله نافذة بحرية للبلاد الشامية على البحر الأحمر وتجارة المشرق والجنوب العربي، ولتحقيق ذلك أرسلت أحد قوادها المشهورين اللواء رشدي باشا للمرابطة بقواته في العقبة. إزاء ذلك أرسلت بريطانيا سنة 1906م المستر (براملي) مفتش جزيرة سيناء لوضع خفر من البوليس في نقب العقبة لمراقبة المدينة والخليج والطريق المؤدي إلى سيناء. ولكن اللواء رشدي باشا طلب من القائد البريطاني الرحيل عن العقبة، فامثل للأمر وعاد إلى القاهرة وأبلغ الأمر للحكومة المصرية⁽¹⁾. عندئذ أرسلت مصر إلى السلطان العثماني تطلب منه تشكيل لجنة مشتركة لتعيين الحدود بين مصر وسوريا، ولكن السلطان رفض هذا الطلب.

وهكذا دخل الخلاف بين الجانبين مرحلة الصدام المسلح، فعززت الدولة العثمانية قواتها في العقبة فبلغت 2000 جندي، فاحتلوا وادي طابا وهيمنوا على رأس خليج العقبة وسواحله الشرقية والغربية. وكان رد الحكومة المصرية والانجليزية أن أرسلوا قوة عسكرية بحرية بقيادة الأميرالاي سعد بك رفعت وأخرى برية بقيادة

(1) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 589.

المستر براملي . تصدت القوات العثمانية للقوات الانجليزية المصرية ومنعتها من احتلال طابا أو النزول إلى البر، فاتجهت الباخرة المقلة للقوات إلى جزيرة فرعون في خليج العقبة انتظارا للتعليمات من قيادتها. وفي 17 شباط 1906م صدرت الأوامر إلى القائد (فبس هورنبي) قائد الطراد الانجليزي (ديانا) بالإبحار إلى العقبة والانضمام إلى القوات المتواجدة في جزيرة فرعون، ومنع الأتراك من السيطرة على طابا، وقد رافق هذه القوات القائد المصري (نعوم شقير) مؤلف كتاب تاريخ سيناء⁽¹⁾. ونتيجة للاتصالات فقد اجتمع الطرفان المصري الانجليزي والعثماني في العقبة، وكانت وجهة نظر رشدي باشا العثماني أن طابا ونقب العقبة يتحكمان بالخليج، وهما هامان لسلامة الخليج والميناء معا، وأنهما ضمن الأملاك العثمانية، ولن يسمح للقوات المصرية والبريطانية دخولهما، خصوصا وأن الدولة العثمانية كانت قد استتحت خليج العقبة ومضائقه من حرية الملاحة الدولية فيه في معاهدة القسطنطينية سنة 1888م. ولم تسفر المباحثات عن نتائج هامة، ومع ذلك لم تصطدم القوات العسكرية وفضل الطرفان انتظار التعليمات وما تسفر عنه الاتصالات الدبلوماسية⁽²⁾. وفعلا حدثت اتصالات بين الحكومة البريطانية والباب العالي بالاستئذان، واتفق الجانبان على إرسال مندوبين لتعيين الحدود بين مصر والبلاد السورية.

ومثل الحكومة العثمانية ضابط من العقبة، وضابطان من الاستانة هما أحمد مظفر بك ومحمد فهمي بك. أما ممثلو الجانب المصري والبريطاني فكانوا، الأميرالاي اوين بك، واللواء إسماعيل باشا سرهنك، والأميرالاي سعد بك رفعت.

(1) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 591.

(2) نعوم شقير، المرجع نفسه، ص 592.

ومن الملاحظ أن الدولة العثمانية كانت تصر على ضم معظم بلاد التيه إلى سوريا، وذلك برسم خط من العريش إلى السويس، ومن السويس إلى نقب العقبة، فالواقع شرقي هذا الخط لها والغربي لمصر. ولكن السلطات المصرية رفضت ذلك، فاقترحت تركيا تقسيم سيناء بينهما بخط مستقيم يبدأ من العريش شمالاً إلى رأس محمد جنوباً، فالقسم الشرقي لتركيا والغربي لمصر، ومرة أخرى ترفض مصر هذا العرض، وتصر على أن يكون الخط من رفح إلى العقبة⁽¹⁾ فأصرت الدولة العثمانية على موقفها وعززت قواتها في رفح، مما أثار السلطات البريطانية، فسارعت إلى عرض عضلاتها وأرسلت طرادها الحربي (منرفا) على رفح لتهديد القوات التركية المتمركزة هناك.

ومن خلال سير الأحداث السالفة نستطيع القول بأن الحكومة البريطانية كانت حريصة كل الحرص على السيطرة الفعلية والكاملة على كل سيناء والساحل الغربي لخليج العقبة، هدفها من ذلك إبعاد أية قوة مهما كانت عن قناة السويس. ثم مراقبة خليج العقبة واحتلال طابا ومنع وصول سكة حديد الحجاز إليها التي كانت ستقام بخبرة المانية. بالإضافة إلى منع أي تقدم أو توسع لمدينة العقبة ومينائها الذي كان من الممكن أن يصبح ميناء دولياً يخدم حركة التجارة الدولية عبر البحر الأحمر والشرق الأقصى، وفي هذا تهديد لمصالحها التجارية والإستراتيجية، خصوصاً وأنها احتلت عدن ومصر، وتود السيطرة على سيناء وطابا، وبذا يصبح خليجي العقبة والسويس تحت هيمنتها وسيادتها وتمنع أية منافسة أو تهديد لقناة السويس، فسيناء وخليج العقبة مجال حيوي لحماية قناة السويس من أي تدخل قادم من الشرق، ولما كانت الدولة العثمانية في طور الاحتضار، لم تكن قادرة على الوقوف بوجه

(1) نعوم شقير، المرجع نفسه، ص 594.

التهديدات البريطانية، أضف إلى ذلك أن وجودها الحربي في البحر الأحمر كان عاجزا عن التصدي للقوة البريطانية المتمثلة بالطرادات والبوارج الحربية الراسية في عدن والسويس وبور سعيد.

أثارت مشكلة طابا وسيناء الرأي العام المصري، فانقسموا إلى قسمين، الأول يؤيد إجراءات الدولة العثمانية بسط سيادتها على طابا لإيجاد دائرة حول العقبة لا يكون لأحد كلمة فيها غير الأتراك، وأدانت هذه الفئة تدخل الحكومة البريطانية وأن ليس من حقها التدخل في شؤونها الإدارية وأن عملها هذا هو إبطاء لمشروع سكة حديد الحجاز. والقسم الثاني رأى أن سيناء جزء من مصر ولا يحق فصلها عن البلاد وأيد المطالب المصرية البريطانية. أما الحكومة البريطانية التي رفضت أي سيطرة تركية على سيناء وطابا والسواحل الغربية لخليج العقبة، فقد ترجمت عن رفضها هذا بتعزيز قواتها في مصر فبلغت 6000 جندي⁽¹⁾. ثم أرسلت إخطارا نهائيا إلى الباب العالي سلم بواسطة سفيرها في الاستانة، يدعو الباب العالي إلى إجابة مطلبها في مدة أقصاها عشرة أيام، وتركز هذا الإخطار في نقطتين:

1- إخلاء طابا.

2- عودة العساكر التركية في رفع إلى مواقعهم الأولى.

وجاء في الإخطار أيضاً أن بريطانيا ستستخدم القوة في حال عدم تلبية مطالبها، وأيدتها كل من فرنسا وروسيا، أما ألمانيا التي كانت تقف إلى جانب تركيا في ضم سيناء ومد الخط الحديدي الحجازي إلى طابا فقد نصحت الدولة العثمانية

(1) نعوم شقير، نفس المرجع، ص 602.

عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 449.

بالانصياع للمطالب البريطانية لأنها لم تكن قادرة على مساندةها عسكريا في ذلك الوقت بسبب نمو مصالحتها التجارية مع مصر. أمام هذا الضغط سلم السلطان العثماني بمطالب انجلترا وانسحبت قواته من طابا، بعد أن تشكلت لجنة لرسم الحدود بين مصر وسوريا امتدت من رفح إلى طابا بموجب الرسالة التي بعثها توفيق باشا الصدر الأعظم في 14 اذار 1906م إلى السير نيقولاس اوكونور سفير بريطانيا في الاستانة هذا نصها:

«جناب السفير:

تشرفت بالمذكرة التي تكرمتم بإرسالها في 12 الجاري بشأن احتلال طابا، فاسمحوا لي أن أخبركم أنه لم يخطر مرة ببال الحكومة الشاهانية الخروج عن مضمون التلغراف المرسل من المرحوم جواد باشا إلى سمو الخديوي في 8 افريل سنة 1892م. ومع ذلك فإن الرسالة التي تشرفت بإرسالها إليكم في 11 الجاري كانت واضحة كل الوضوح، فإن إخلاء طابا قد تقرر وصدرت الأوامر بذلك.

وقد أقر الرأي على أن الضباط أركان حرب الموجودين الآن في العقبة والموظفين الذين ينتدبون من قبل سمو الخديوي يمرون معا على الأمكنة اللازمة ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطبوغرافية، ويعينوا على خريطة النقط الطبيعية التي يكون بها ضمان الحال الحاضرة، وبقاء القديم على قدمه في شبه جزيرة سيناء على القاعدة التي وضعها جواد باشا في تلغرافه السالف الذكر وأن يرسموا خطا للحدود يتدئ من رفح بقرب العريش ويتجه جنوبا بشرق على خط مستقيم تقريبا إلى نقطة على خليج العقبة تبعد على الأقل 3 أميال من العقبة. وبذلك تكون الرغبة التي أبديتها سعادتك في رسالتكم المشار إليها قد تحققت تماما.

هذا وإنا نسأل سعادتكم أن تبلغوا ذلك إلى لندن ونأمل أن حكومة جلالة الملك ترى بذلك برهانا جديدا على رغبتنا الشديدة في دوام حفظ العلائق بيننا، على دعائم المودة التامة، وأن في إبداء حكومة جلالته تمام ارتياحها لذلك دليلا على القيمة التي نعلقها على حفظ وتوطيد العلاقات الحسنة الكائنة لحسن الحظ بين الحكومتين افندم (1) .»

توفيق

فاجتمعت اللجنتان المصرية البريطانية والتركية في آذار سنة 1906م وكانت اللجنة الأولى مكونة من:

الأميرالاي اوين بك، اللواء إبراهيم باشا فتحي، نعوم شقير والمهندسان البريطانيان وكيلن وويد، والطبيب براكنج، وافنس، ويوسف سامح مترجم تركي. أما اللجنة العثمانية فكانت من:

الأميرالاي محمد مظفر بك، والبكباشي محمد فهمي بك واللواء رشدي باشا قائد القوات التركية في العقبة وطابا، وياوره محمد أسعد صالح (2).

واتفق الطرفان على أن يبدأ خط الحدود من المرشش التي تبعد $3\frac{3}{4}$ الميل من قلعة العقبة بخط شبه مستقيم إلى رفح على البحر المتوسط ورسمت الخرائط ووضعت إشارات الحدود على طول هذا الخط من العقبة إلى رفح.

(1) نعوم شقير، المرجع نفسه، ص 604.

(2) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 605.

وهكذا تخلت الدولة العثمانية عن مطالبها ومشاريعها في طابا والعقبة وسيناء، أمام التهديدات البريطانية وعجزها عن مواجهة بريطانيا التي تمكنت بمساعدة من الدول الغربية الأخرى فرنسا وروسيا والمانيا من فرض إرادتها على الدولة العثمانية، وإحباط محاولاتها في مد الخط الحديدي الحجازي، وإنعاش ميناء العقبة وتطويره إلى ميناء دولي هام، وإبعاد أي خطر أو تدخل عن قناة السويس التي تشكل مرفقا حيويا للمصالح البريطانية في الشرق الأوسط والشرق الأقصى وشرقي إفريقيا والخليج العربي على حد سواء.

الفصل الخامس

الحركة العلمية في أيلة (العقبة)

1- النشاط العلمي والثقافي

2- ترجمة لبعض العلماء والفقهاء من أيلة

1- النشاط العلمي والثقافي

دخلت المسيحية إلى أيلة في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، ومن المعروف أن الكنيسة في العصور الوسطى أخذت على عاتقها مهمة تعليمية إلى جانب مهمتها الروحية. وقد عرفت بلاد الشام منذ وقت مبكر نهضة علمية تمثلت بقيام المدارس في أنحاء متفرقة من البلاد، ونبغ منها العديدون في مجالات العلم المختلفة. ولما كانت أيلة مزدهرة اقتصاديا في العصور السابقة للإسلام، وأن الثراء والاستقرار يواكبهما تقدم علمي وثقافي، فلا شك أن أيلة شهدت مثل هذا التقدم في العصرين الروماني والبيزنطي.

وقد واصلت أيلة رسالتها العلمية والثقافية في العصر الإسلامي الأول، فبعد عهد الأمان الذي منحه الرسول (ﷺ) لأسقفها وأهلها سنة 9هـ (630م) دخل الإسلام إليها وانتشر فيها كغيرها من المدن الشامية، فحسن إسلام أهلها وبنيت المساجد العديدة فيها⁽¹⁾، وانكب مسلموها على العلم والتحصيل. ومما ساعد على إحياء الحركة العلمية في أيلة هجرة موالي بني أمية إليها وسكنهم فيها بعد فتنة عثمان، وكان لهم فضل كبير في تطور العلوم وتقدمها في أيلة. نبغ منهم العديدون في علوم الحديث والفقه والقراءات، وتكونت منهم أسر علمية عريقة، هاجر بعضها إلى مصر ووضعوا الأسس الأولى لعلم الحديث فيها، وبقي الآخرون في أيلة يقصدهم طلاب

(1) المقرئزي، الخطط، ج 1، ص 345.

العلم من جميع الأنحاء، وقد اقترنت أيلة بالإمام الكبير إمام أهل المدينة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، الذي أحب أيلة وعلماءها، وكانت له ضيعة فيها⁽¹⁾، فأقبل عليه طلاب العلم ينهلون من معين علمه الكثير، لذا عرفت أيلة في القرون الأربعة الأولى كمركز له أثره من مراكز علم الحديث في العالم الإسلامي.

وقد زحرت كتب التراجم والأنساب ممن ينسبون إلى أيلة بدليل وجود نشاط علمي واضح بها، بلغ أوجه في القرون الأربعة الأولى، ولكن هذه الجذوة أخذت تخبو وتتلاشى في القرنين الخامس والسادس الهجريين، بسبب تعرض أيلة ومنطقة جنوب الأردن للاحتلال الصليبي. ولكن الحركة العلمية عادت للازدهار في الأردن في العصر الأيوبي والمملوكي وعلى وجه الخصوص منذ تأسيس إمارة الكرك الأيوبية 626هـ (1229م).

ومن خلال رصدنا لأحداث منطقة الأردن بعد هذا التاريخ لم نجد ما يشير إلى وجود ازدهار علمي وثقافي ملموس في أيلة، فباعترادي أن أيلة بعد هذا التاريخ لعبت دورا اقتصاديا وتجاريا فقط، أما دورها العلمي فلم يكن بالدرجة الذي بلغته كل من الكرك وحسبان والصلت وعجلون وغيرها من المدن الأردنية الأخرى⁽²⁾.

(1) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 7، ص 256.

(2) لمزيد من التفاصيل عن الحركة العلمية في أيلة وأهميته انظر كتابي:

الحياة العلمية والثقافية في الأردن في العصر الإسلامي، دار هشام للنشر والتوزيع، عمان، 1984م.

2- ترجمة لبعض العلماء والفقهاء من أيلة

1- عقيل بن خالد بن عقيل الأيلي

مولى عثمان، روى عن أبيه وعمه ونافع مولى ابن عمر، وعكرمة والحسن وسعيد بن أبي سعيد الخدري، وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت، ومسلمة بن كهيل والزهري وغيرهم.

وعنه روى إبراهيم وابن أخيه سلامه بن روح، والمفضل بن فضالة، والليث بن سعد، وابن لهيعة، وجابر بن إسماعيل، وعبد الرحمن بن سليمان الحجري، وسعيد بن أيوب، ونافع بن يزيد، ويحيى بن أيوب، والحجاج بن فرافصة، ويونس بن يزيد الأيلي. قيل أنه من أثبت من روى عن الزهري، كان حافظا للحديث اتصل بالزهري كثيرا أثناء تردده على أيلة وإقامته فيها، فكتب عنه بعض الأحاديث في صحائف خاصة. صنفه أبو زرعة وابن معين وابن أبي مريم والبخاري وابن حبان وابن سعد من الثقات الصادقين الحافظين للحديث. سكن المدينة والشام ومصر، وعقيل هذا عمدة عائلة عقيل الأيليين الذين برزوا في علم الحديث، ولهم باع طويل فيه، توفي سنة 141هـ (758م)⁽¹⁾.

(1) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج7، ص 519.

ابن ماكولا، الإكمال، ج1، ص 127.

ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج1، ص 98.

الذهبي، المشتبه في الرجال، ج1، ص 6.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج7، ص 255، 256.

وتقريب التهذيب، ج2، ص 29.

السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 345.

2- يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي

مولى معاوية بن أبي سفيان، روى عن أخيه أبي علي بن يزيد، ونافع مولى ابن عمر، والزهري، وهشام بن عروة، وعمارة بن غزية، ومكرمة. وروى عنه جرير وعمرو ابن الحارث، وابن أخيه عنبسه بن خالد بن يزيد الأيلي، والليث، والأوزاعي، وسليمان بن بلال، وطلحة ابن يحيى، وابن المبارك، وابن وهب، وعبد الرحمن بن سعد الأموي وآخرون.

كان أوثق أصحاب الزهري، عارفا برأيه، فإذا نزل الزهري أيلة أقام عنده. لذا قال ابن معين: يونس ومعمرو عالمان بالزهري، وقال أحمد بن صالح: نحن لا نقدم في الزهري على يونس أحدا. كتب يونس الحديث في صحائف خاصة حتى أن ابن المبارك كان يقول: (كتابه صحيح)، أما ابن حجر العسقلاني فيقول: «إذا نظرت في حديث معمرو ويونس يعجبني كأنهما خرجا من مشكاة واحدة». ويونس أيضاً عمدة عائلة يونس الذين اشتهروا بعلم الحديث وانتشروا في مصر والدلتا، ولهم طلابهم وفضلهم في رواية الحديث، أجمع علماء الحديث أنه ثقة. توفي يونس في صعيد مصر سنة 152هـ (769م)⁽¹⁾.

(1) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج7، ص 520.

السمعاني، أنساب الأنساب، ج1، ص 404.

ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج1، ص 98.

الذهبي، المشتبه في الرجال، ج1، ص 6.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج11، ص 450، 451.

السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 345.

أبو الفلاح، شذرات الذهب، ج1، ص 233.

3- عبد الحكم بن أعين بن الليث القرشي الأيلي

مولى عثمان بن عفان، ويقال كان مولى عفيرة امرأة من موالي عثمان، وفي رأى آخر أنه كان مولى رافع مولى عثمان، وهو والد بني عبد الحكم العائلة التي هاجرت من أيلة إلى مصر، وسكن عبد الحكم الإسكندرية، وكون عائلة علمية عريقة نبغوا في صنوف العلم والمعرفة، منهم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم صاحب كتاب (فتوح مصر والمغرب والأندلس) وهو من أهم الوثائق التاريخية للفتح العربي وأقدمها. روى عن حنيفة اليماني، وحدث عنه ابن وهب وعبد الله بن صالح كاتب الليث وابن القاسم. كان أدبيا عاقلا عالما، أتقن مذهب مالك، وتوفي في الإسكندرية سنة 171هـ (787م)⁽¹⁾.

4- سلامة بن روح بن خالد بن عقيل الأيلي

ينتمي إلى عائلة عقيل، روى الحديث عن عمه عقيل بن خالد، وروى عنه محمد بن عزيز الأيلي وكانت له كتب وصحائف في الحديث قدم الفسوي إلى أيلة باحثا عنها، ولكنه لم يعثر عليها، توفي سنة 198هـ (813م)⁽²⁾.

(1) عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1964م، ص 24.

القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج 1، ص 313.

سيدة إسماعيل كاشف، المنهج التاريخي لابن عبد الحكم، بحث في كتاب دراسات عن ابن عبد الحكم، القاهرة، 1975م، ص 22، 23.

(2) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 9، ص 345.

5- عنبسه بن خالد بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي

من موالي بني أمية، روى الحديث عن عمه يونس بن يزيد الأيلي السالف الذكر، ورجاء بن جميل وأحمد بن صالح، توفي بأيلة سنة 198هـ (813م)⁽¹⁾.

6- خالد بن نزار بن المغيرة بن سليم الغساني الأيلي

كان من أقران محمد بن ادريس الشافعي، روى الحديث عنه وعن إبراهيم بن طهمان، ومالك والقاسم بن مبرور، والأوزاعي، ونافع، وابن عيينه وابن أبي الزناد وغيرهم. وأخذ الحديث عنه أحمد بن صالح المصري، وأبو الطاهر بن السرح، وابنه طاهر بن خالد، ومحمد بن عبد الله بن الحكم، وهارون بن سعيد الأيلي وجماعة آخرون. ذكره ابن حبان من الثقات، وقال مسلمة بن قاسم أنه ثقة، وصنفه ابن حجر العسقلاني من الطبقة التاسعة وأنه صدوق يخطئ، وذكره ابن سعد في طبقاته، توفي سنة 222هـ (836م)⁽²⁾.

7- هارون بن سعد بن الهيثم بن محمد بن الهيثم الأيلي

مولى بني سعد بن بكر بن قيس، ولد سنة 170هـ، كان عالما فاضلا من علماء الحديث المقدمين فيه، روى عن ابن عيينة، وابن وهب، وأبي ضمرة، وخالد بن ابني نزار، ومؤمل بن إسماعيل، وبشر بن بكر، والقاسم بن مبرور. وروى عنه مسلم، وأبو

(1) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 404.

(2) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 129.

الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 7.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 123.

داود، والنسائي، وابن ماجة، وأبو حاتم، ومحمد بن وضاح، وعمر بن محمد البحيري وآخرون. وصف بأنه شيخ ثقة، وقال أبو عمر الكندي: «كان فقيها من أصحاب ابن وهب، أما ابن حجر العسقلاني فقال: وكان مقدما في الحديث فاضلا من الطبقة العاشرة. توفي سنة 253هـ (867م)»⁽¹⁾.

8- محمد بن سعيد الأيلي

أخو هارون السالف الذكر، من محدثي أيلة، روى عن أخيه هارون وتوفي سنة 258هـ (871م)⁽²⁾.

9- اسحق بن إسماعيل بن عبد الأعلى بن عبد الحميد الأيلي

ويكنى بأبي يعقوب، من علماء الحديث الأيليين، رواه عن سفيان بن عيينة وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود، وسلامة بن روح وغيرهم. روى عنه النسائي، وابن ماجة ومكحول، وعبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي، قال ابن حجر أنه صدوق من الطبقة العاشرة، توفي بأيلة سنة 258هـ (871م)⁽³⁾.

10- عبد الجبار بن عمر الأيلي، كنيته أبو الصباح

من موالي بني أمية روى الحديث عن الزهري وابن المكندر ونافع مولى ابن عمر، وربيعة ويحيى بن سعد الأنصاري، واسحق بن عبد الله بن أبي فروة، وعطاء

(1) ابن ماكولا، الإكمال، ج1، ص 130.

الذهبي، المشتبه، ج1، ص 7.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج11، ص 7، وتقريب التهذيب، ج2، ص 312.

(2) الذهبي، المشتبه، ج1، ص 7.

(3) ابن ماكولا، الإكمال، ج1، ص 129.

الذهبي، المشتبه، ج1، ص 7.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج1، ص 226، وتقريب التهذيب، ج1، ص 56.

الخراساني وجماعة آخرون. وروى عنه رشيد بن أبي سعد، وابن المبارك، وابن وهب وعبد الله بن يزيد شيخ البخاري، وسعيد ابن مريم وإسماعيل بن عياش وغيرهم. وقد اختلف مؤرخو الحديث في تصنيفه، فالدوري وابن أبي حاتم وأبو داود والترمذي والبخاري نعتوه بالضعف، ولكن ابن سعد قال إنه ثقة. صنف من الطبقة السابعة، توفي بين سنتي 260هـ، 270هـ، (873م، 883م)⁽¹⁾.

11- محمد بن سلام بن عبد الله بن عقيل بن خالد الأيلي

من عائلة عقيل المشهورة وابن عم محمد بن عزيز الآتي ذكره، روى الحديث عن يونس بن يزيد الأيلي، رحل إلى العراق واستقر به المقام في سامراء، فجلس للحديث هناك. روى عنه الحديث: أبو بكر محمد بن يزيد الطرسوسي، وخالد بن نزار الأيلي، وطاهر بن خالد بن نزار الأيلي، ويحيى بن محمد بن صاعد، والحسن بن محمد بن سعيد، وإسماعيل ابن العباس الوراق، ومحمد بن مخلد العطار، وأبو زرعة ومحمد بن جعفر الطبري صاحب التاريخ والمؤلفات العديدة، وصف بالثقة والصدق توفي بسامراء سنة 263هـ (876م)⁽²⁾.

12- محمد بن عزيز بن عبد الله بن زياد بن خالد بن عقيل الأيلي

من موالي بني أمية ومن عائلة عقيل الأيليين. وكان متمكنا في علم الحديث أخذه عنه فحولهم، ورحلوا إلى أيلة للاستماع إليه منهم الفسوي، وسعيد بن عثمان،

(1) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج2، ص 520.

ابن ماكولا، الإكمال، ج1، ص 128.

الذهبي، المشتبه، ج1، ص 8، وميزان الاعتدال، ج2، ص 534.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج6، ص 103، 104 وتقريب التهذيب، ج1، ص 466.

(2) السمعاني، الأنساب، ج1، ص 404.

الذهبي، المشتبه، ج1، ص 7.

احتفظ محمد بن عزيز بكتب وصحائف عمه سلامه ابن روح وقد سأل يعقوب الفسوي في إحدى رحلاته إلى أيلة عن تلك الصحائف فقال: «دخلت أيلة فسألت عن كتب سلامه بن روح». وقد روى محمد بن عزيز الحديث عن سلامه بن روح الأيلي، وسليمان بن سلمة الجنائري، ويعقوب بن زهدم بن الحارث، وروى عنه النسائي وابن ماجه وأبو داود ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وهو من أقرانه، ويعقوب بن سفيان الفسوي، ومحمد بن مسلم، والاسفرايني وأبو بكر بن زياد النيسابوري وآخرون. أثنى عليه النسائي وابن حاتم ومسلمة وأحمد بن سعيد بن حزم وسعيد بن عثمان، وأجمعوا على أنه ثقة صادق توفي بأيلة سنة 267هـ (880م)⁽¹⁾.

13- عبد الرحمن بن هارون بن سعيد بن الهيثم الأيلي

ويكنى بأبي محمد، كان والده هارون بن سعد من الثقات في رواية الحديث. روى عبد الرحمن عن والده وغيره من علماء الحديث واشتغل في تدريس الحديث وروايته، توفي سنة 278هـ (891م)⁽²⁾

14- حسان بن أبان بن عثمان الأيلي

كان من رهط خالد بن نزار ابن المغيرة الغساني السالف الذكر، اشتغل برواية الحديث وتدريسه، تولى قضاء دمياط بالديار المصرية وتوفي سنة 322هـ (933م)⁽³⁾.

(1) الذهبي، المشته، ج 1، ص 7.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 9، ص 344، 345.

أبو الفلاح، شذرات الذهب، ج 2، ص 153.

(2) السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 405.

(3) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 130.

15- إبراهيم بن عون الأيلي

من محدثي أيلة، روى عن عثمان ابن المهلب الأيلي، وروى عنه عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم الأيلي⁽¹⁾.

16- إبراهيم بن عقيل بن خالد الأيلي

من عائلة علمية عريقة، فوالده عقيل مؤسس أسرة عقيل، وخاله ابن يونس المحدث الثقة. روى الحديث عن أبيه عقيل، وعنه روى ابنه عقيل بن إبراهيم، وعلي بن القاسم حديثا صحيحا⁽²⁾.

17- أيوب بن سليمان بن عبد الواحد بن أبي حجر الأيلي

روى عن بكر بن صدقة، وذكره ابن يونس فقال: «رأيت من يحدث عنه»، وهو والد داود بن أيوب الآتي ذكره، وقال ابن عساكر أن داود روى الحديث عن والده⁽³⁾.

18- إسماعيل بن صخر الأيلي

روى عن أبي عبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر، وروى عنه محمد بن جعفر بن أبي كثير، ذكره ابن يونس في كتابه⁽⁴⁾.

(1) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

(2) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

(3) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 129.

ابن عساكر، تهذيب، ج 5، ص 198.

الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 7.

(4) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 127.

19- أبو علي بن يزيد الأيلي

أخو يونس الأيلي المحدث الثقة، روى عنه يونس بعض الأحاديث⁽¹⁾.

20- الحكم بن محمد السعدي من آل هارون بن سعيد الأيلي

السالف الذكر، روى الحديث عن إبراهيم بن مرزوق وغيره⁽²⁾.

21- الحكم بن عبد الله بن سعد بن عبد الله الأيلي

يكنى بأبي عبد الله، وهو مولى الحارث بن الحكم ابن أبي العاص، وكان والده عبد الله بن سعد صاحب شرطة المدينة المنورة، سمع الحديث عن أنس ابن مالك وحدث بدمشق عن الزهري ونافع وغيرهما. روى عنه يحيى ابن حمزة والليث بن سعد، ويزيد بن عبد الله الأيلي والمغيرة ابن الحسن، وصفه ابن المبارك بالضعف، أما النسائي فقال إنه غير ثقة في أحاديثه وأنكرها ابن يونس أيضا⁽³⁾.

22- حكيم بن رزيق بن حكيم الأيلي

روى الحديث عن والده رزيق بن حكيم الاتي ذكره، وروى عنه ابن المبارك وغيره، وكان والده من المحدثين الثقات⁽⁴⁾.

(1) ابن ماکولا، الإكمال، ج1، ص127.

(2) نفس المصدر، ج1، ص130.

(3) البخاري، التاريخ الكبير، ج2، ص345.

ابن ماکولا، الإكمال، ج1، ص127.

ابن عساکر، تهذيب، ج4، ص397.

الذهبي، ميزان الاعتدال، ج1، ص572 والمشتبه، ج1، ص6.

(4) ابن ماکولا، الإكمال، ج1، ص127.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج3، ص273.

23- حسين بن رستم الأيلي

تولى إمارة أيلة للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، روى عن عطاء بن يسار
ومحمد بن المنكدر، وهشام بن عروة، وروى عنه مالك بن أنس وسعيد بن أبي أيوب
وهمام بن نافع وغيرهم⁽¹⁾.

24- خالد بن يزيد بن عبد الله الأيلي

من موالي بني أمية، حدث عن والده عبد الحكم بن عبد الله بن سعد، وعن
موسى بن الحسن الكوفي، ذكره ابن يونس في كتابه⁽²⁾.

25- خالد بن يزيد بن محمد الأيلي

روى عن والده يزيد بن محمد الأيلي، ذكره ابن يونس وقال: هناك من يخلط بينه
وبين خالد بن يزيد بن عبد الله الأيلي السالف الذكر⁽³⁾.

26- خالد بن عقيل الأيلي

والد عقيل المحدث الأيلي المشهور وعمدة عائلة عقيل المحدثين، روى عن
اسماء بنت ابي بكر، وروى عنه ابنه عقيل⁽⁴⁾.

(1) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج 7، ص 520.

البخاري، التاريخ الكبير، ج 2، ص 284.

ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 6.

(2) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 129.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 130.

(4) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 127.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 255.

27- داود بن أيوب بن سليمان بن عبد الواحد الأيلي

حدث عن أبيه أيوب السالف الذكر، وعن هشام بن عمار وإبراهيم بن المنذر، وروى عنه ابن الأعرابي وغيره. روى بسنده إلى زيد بن خالد الجهني أن النبي (ﷺ) قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽¹⁾.

28- رجاء بن جميل بن ثوبان الأيلي

روى عن الزهري وابن المسيب والقاسم بن محمد وسالم، وحدث عنه عنبيه بن خالد الأيلي السالف الذكر، وضمرة بن ربيعة وغيرها⁽²⁾.

29- رزيق بن حكيم أبو حكيم الأيلي

مولى بني فزارة، روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، وسعيد بن المسيب، وقاسم بن محمد، وعمر ابن عبد العزيز وغيرهم. وروى عنه إبراهيم بن رزيق ومالك وسفيان بن عيينه، ويونس بن يزيد، وعقيل، وسعيد بن أبي أيوب، وعمرو بن الحارث، وهميرة بن أبي ناجية، وبكر بن مضر وابنه حكيم بن رزيق السالف الذكر. ذكره النسائي وابن حبان في الثقات، وأخرج له النسائي حديثاً واحداً ووثقه العجلي وابن سعد⁽³⁾.

(1) ابن عساکر، تهذيب، ج 5، ص 198.

(2) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 127.

الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 7.

(3) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج 7، ص 520.

ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 127.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 273.

30- زياد بن عقيل الأيلي

روى عن اسماء بنت أبي بكر، وروى عنه الحديث ابن أخيه عقيل بن خالد احد المحدثين الثقات في أيلة⁽¹⁾.

31- زهير الأيلي

روى عن ابن عباس، وروى عنه يحيى بن أبي السيباني، وذكره ابن يونس في كتابه⁽²⁾.

32- سعد بن عبد الله بن سعد الأيلي

أخو الحكم بن عبد الله السالف الذكر، روى عن محمد بن كعب القرطبي والقاسم بن محمد، وروى عنه ضمرة بن ربيعة قال أبو حاتم: لا بأس به، وذكره ابن حيان في الثقات وقال ابن حجر إنه صدوق من الطبقة السادسة⁽³⁾.

33- سعيد بن عبد الله بن سعيد الأيلي

روى عن عقيل بن خالد الأيلي، وروى عنه عمر بن طلحة، ذكره ابن ماکولا⁽⁴⁾.

34- سعيد بن يزيد الأيلي

أخو أبي علي بن يزيد ويونس بن يزيد المحدثان، روى عنه أخواه بعض الأحاديث⁽⁵⁾.

(1) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 129.

(2) المصدر السابق، ج 1، ص 126.

(3) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 476، وتقريب التهذيب، ج 1، ص 288.

(4) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 129.

(5) ابن ماکولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

35- سعيد بن ميمون الأيلي

روى عنه يزيد بن أبي حبيب، وخالد ابن عقيل الأيلي والد عقيل عن أسماء بنت أبي بكر⁽¹⁾.

36- سعدان بن سالم الأيلي

يكنى بأبي الصباح، روى عن يزيد بن أبي سمية الآتي ذكره، وسهل بن صدقة مولى عمر بن عبد العزيز، وروى عنه ابن المبارك وضمرة بن ربيعة، والقاسم بن أبي ايوب، وبكر ابن مضر وخالد بن نزار بن المغيرة السالف الذكر. اثنى عليه أبو داود ذكره ابن حيان في الثقات، قال ابن حجر صادق من الطبقة السادسة⁽²⁾.

37- طلحة بن عبد الملك الأيلي

روى عنه القاسم بن محمد ورزيق ابن حكيم السالف الذكر، وروى عنه ابن أخيه القاسم بن مبرور والأوزاعي، ومالك بن أنس وعبيد الله، وعبد الله أبناء عمر، ويحيى القطان. أجمع ابن معين وأبو داود والنسائي وابن سعد أنه ثقة، وذكره ابن حيان وابن شاهين في الثقات. قال أحمد بن صالح المصري: ما سقط من أهل أيلة إلا الحكم بن عبد الله كلهم ثقات وطلحة ثقة⁽³⁾.

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 128.

(2) الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 7.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 487، وتقريب التهذيب، ج 1، ص 290.

(3) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج 7، ص 519.

الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 6.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 5، ص 20.

38- عقيل بن إبراهيم بن عقيل بن خالد الأيلي

روى عن أبيه إبراهيم وجده عقيل أحد المتمكنين في الحديث بأيلة، وروى عنه يحيى ابن عثمان بن صالح⁽¹⁾.

39- عمر بن سعد الأيلي

أحد المحدثين الأيليين، روى عن عمران ابن أبي الطفيل، وحدث عنه عمر بن زيان الأيلي الآتي ذكره⁽²⁾.

40- عمر بن زيان الأيلي

شيخ الحسن الحواني، وأحد محدثي أيلة، روى الحديث عن عمر بن سعد السالف الذكر، وحدث عنه حسن ابن علي الحلواني⁽³⁾.

41- قاسم بن مبرور الأيلي

ابن أخ طلحة بن عبد الملك السالف الذكر، روى عن هشام بن حسان وحدث عنه خالد بن نزار الأيلي⁽⁴⁾.

42- كثير بن عبد الله الأيلي الأنساني نسبة إلى قرية أنس بن مالك

روى عنه ووصفه ابن حجر بأنه ضعيف الحديث⁽⁵⁾.

(1) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 129.

(2) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 7.

(3) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 7.

(4) الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 7.

(5) ابن حجر، تبصير المتنبه بتحريير المشتبه، ج 1، ص 51.

43- يحيى بن صالح الأيلي

روى عن إسماعيل بن أمية وحدث عنه يحيى بن عبد الله بن بكير، وذكره ابن يونس وقال بأنه روى الحديث عن يحيى بن بكير⁽¹⁾.

44- يزيد بن عبد الله الأيلي

روى عن الحكم بن عبد الله بن سعد السالف الذكر، وحدث عنه ابنه خالد بن يزيد⁽²⁾.

45- يزيد بن محمد الأيلي

أحد محدثي أيلة، روى عن يونس بن يزيد وابن لهيعة، وحدث عنه يعقوب بن سفيان الفسوي صاحب كتاب المعرفة والتاريخ، وإسماعيل بن عبد الله الأصبهاني المعروف بسموية⁽³⁾.

46- يزيد بن يونس بن يزيد الأيلي

روى عن أبيه يونس بن يزيد أحد المحدثين الأيليين المشهورين، روى عنه ابن وهب ومحمد بن مهدي الإخميمي⁽⁴⁾.

47- يزيد بن أبي سمية الأيلي

وكنيته أبو صخر، روى عن ابن عمر، وعمر بن عبد العزيز، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وهشام ابن إسماعيل. فحدث عنه هشام بن سعد المدني، وأبو الصباح

(1) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 128.

الذهبي، المشتبه، ج 1، ص 8.

(2) ابن ماكولا، الإكمال، ج 1، ص 129.

(3) المصدر السابق، ج 1، ص 129.

(4) نفس المصدر، ج 1، ص 128.

سعدان بن سالم، وعبد الجبار بن عمر، وحسين ابن رستم الأيليون. ذكره ابن زرعه في الثقات، وقال ابن سعد كان صالح الحديث، أما الواقدي فقال وكان من العباد يصلي ليله أجمع ويكي⁽¹⁾.

ملاحظة:

رتبنا الأعلام حسب سني الوفاة، أما أولئك الذين لم نتمكن من العثور على سني وفاتهم فقد رتبناهم حسب الحروف الهجائية.

(1) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج7، ص 519، 520.

ابن ماكولا، الإكمال، ج1، ص 126.

ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص 335.

الذهبي، المشتبه، ج1، ص 7.

ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج11، ص 334.

الفصل السادس

بعض الآثار الباقية في أيلة (العقبة)

1- جزيرة فرعون

2- خان العقبة

1- جزيرة فرعون Ile de Graye

تقع جزيرة فرعون في خليج العقبة جنوب طابا وعلى مسافة 12 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة أيلة (العقبة)، وتبعد 250 مترا من ساحل سيناء. وهي جزيرة صغيرة من الصخور الجرانيتية الصلبة، محيطها نحو 1000 متر، وطولها شمالا وجنوبا 300 متر، ويبلغ عرضها في أوسع نقطة 150 مترا. وفي الجهة الغربية يوجد هور على شكل بحيرة ضحلة يسهل دخولها بالقوارب الصغيرة، والظاهر أن هذا الهور كان ميناء محميا في العصور الوسطى، ولكن كمرير يرى أن هذا الهور تشكل حديثا بعد تحطيم السور وارتفاع المد، فدخلت المياه في هذا الجزء⁽¹⁾. والجزيرة مكونة من أكتين صغيرتين يرتفع في طرف كل منهما تل بجوانب عميقة تنحدر نحو البحر، فالشمالية ترتفع 30 م عن الماء، أما الجنوبية فتبلغ 24 م وتتصل الأكتان بمهماز في الجهة الشرقية من الجزيرة، ولا يوجد فيها موارد للماء، ولكنها تعتمد على الصهاريج وآبار مياه الأمطار⁽²⁾.

ويوجد في داخل الجزيرة الآن بقايا قلعة إسلامية، وكان يحيط بالقلعة سور مزدوج، الأول يدور حول محيط الجزيرة مزود بأبراج دفاعية قوية، والثاني يدور حول

(1) Kemmerer, Petra Et La Nabatene, P. 353.

(2) Benvenisti, Op. Cit, P. 322.

المنشآت الخاصة بالجزيرة المكونة من قاعات للجنود ومخازن للغلال والذخائر ومساكن لعائلات الجنود وقصر الحاكم أو قائد الحامية. فالأجزاء الشمالية من القلعة تقع في الجناح الشمالي على قمة مسطحة تبلغ 110م طولاً و 30م عرضاً، أما الأحياء السفلية فتقع في الطرف الجنوبي لهذا الجناح، بالإضافة إلى قصر الحاكم، وبالقرب من ذلك المسجد الذي ما زال محرابه موجوداً. ويحيط بهذا الجناح سور مرتفع مزود بالأبراج المربعة ذات طابقين بارتفاع 20 إلى 30 متراً، ومن الملاحظ أن الأجزاء الغربية من السور ما زالت محتفظة بأقصى ارتفاع لها، أما أجزاء السور التي تحيط بهذا الجناح من الجهة الشرقية فهي خربة ومهدمة.

وتوجد مساكن المواطنين في أقصى الجنوب من القلعة، والملاحظ أن قسماً من هذه المنشآت يشكل جزءاً من السور الداخلي، والظاهر أن هذه الأبنية التي خصصت للمواطنين اختير مكانها لقربه من ميناء الجزيرة الصغير، ولكي يكونوا في منأى عن القوات العسكرية والسلطة الرسمية في الجزيرة. وأجزاء السور الشرقية والغربية التي تربط الأكتين الشمالية والجنوبية متهدمة وخربة، وهناك صهريج كبيران لخزن مياه الأمطار، الأول في الجهة الجنوبية من القلعة، والآخر في الطرف الشمالي منها، يتزودان بالمياه من سطوح أبراج القلعة. أما برج القلعة الذي يعتبر أحصن مكان في القلعة فيقع في الجهة الشمالية في مكان مرتفع بحيث يحكم سيطرته على جميع الجزيرة. وللقلعة بوابتان كبيرتان الأولى في الجهة الشمالية من القلعة في مواجهة سيناء، والثانية في الجهة الجنوبية منها، وتتصل كل بوابة بالبحر بدرج ينحدر نحو الشاطئ⁽¹⁾.

(1) Benvenesti, Op. Cit. PP. 321-323.

والقلعة مبنية بالحجارة غير المشهورة (غير مدقوقة) وزودت فراغاتها بالملاط، ويمكن مشاهدة بعض الحجارة الكلسية البيضاء في أسكفة بعض النوافذ وجدران الصهاريج، والظاهر أنها جلبت من مكان قريب من العقبة. ومعظم أجزاء القلعة الحالية تعود إلى فترة متأخرة مملوكية وعثمانية، ولكن مخطط القلعة وطريقة بنائها وأنماطها المعمارية تعود للفترة الصليبية والأيوبية، فالصليبيون لم يستقروا فيها سوى نصف قرن فقط بينما استخدمها العرب والمسلمون من أيوبيين ومماليك وعثمانيين قرنا عديدة. ويطلق المواطنون الآن على جزيرة فرعون (القرية)، بصيغة التصغير وهكذا فالكلمة الفرنسية (لي جري) Ile de Graye هي تصحيف للكلمة العربية (القرية) بتشديد الياء.

وقد لعبت هذه القلعة دورا له أهميته في العصور القديمة، والوسيط، ويعتقد بأنها الجزيرة التي كانت ديوانا للمكوس في العصر الروماني والبيزنطي وليست جزيرة تيران الحالية) ونحن نأخذ بهذا الرأي، فالصليبيون عندما استولوا على أيلة سنة 510هـ (1116م) لم يبنوا فيها شيئا، بل جددوا بناء قلعتها التي كانت مستخدمة في العصر الإسلامي، فالمسلمون استخدموا كل القلاع القديمة تماما كقلعة عمان، والكرك، والشوبك. وقد اثبت في دراساتي أن قلاع عمان والكرك والشوبك كانت موجودة ومستخدمة في العصر الإسلامي، فهي والحالة هذه عربية إسلامية، وإن كانت في أصولها الأولى تعود إلى الأنباط أو الرومان⁽¹⁾.

(1) لمزيد من التفاصيل انظر الكتب التالية للباحث:

إمارة الكرك الأيوبية، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، عمان حضارتها وتاريخها.

2- خان (قلعة) العقبة

اختلف الباحثون المحدثون في نسبة خان العقبة عند رأس خليج العقبة وتاريخ بنائه، فمعظمهم ينسبه إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري السلطان قبل الأخير من سلاطين دولة المماليك الجراكسة 906-922هـ (1501-1516م)، استنادا إلى نص كتابي نقش في مدخل الخان. ولكن هذا الإجماع التقريبي يتعارض مع الحقيقة التاريخية في أن بناء هذا الخان يرجع إلى تاريخ أقدم بكثير من العهد الذي ينسبونه إليه. فنحن لا نشك إطلاقا في أن الخان مملوكي الإنشاء، ولكنني أرجح أنه من إنشاء السلطان الملك الظاهر بيبرس 658-776هـ (1260-1277م). فمن المعروف أن بيبرس ومن خلفه من سلاطين المماليك اهتموا ببناء الأبراج في جميع أنحاء بلاد الشام، وكانت هذه الأبراج عبارة عن قلاع صغيرة استهدف منها تدعيم الدفاع عن الساحل. ومن أمثلة هذه الأبراج مجموعة الأبراج المنفصلة التي بنيت في عصر دولة المماليك على ساحل الميناء بطرابلس المحدثثة ومنها برج السباع وبرج السراي وبرج رأس النهر⁽¹⁾.

وهكذا كان برج العقبة يقوم بوظيفة مزدوجة، فهو خان ينزل فيه التجار والمسافرون، وفي نفس الوقت برج حصين تقوم بحراسته حامية من عسكر المماليك

(1) عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ص 440، 449.
يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، ص 232.

لحماية التجار والحجاج ما بين مصر والديار المقدسة، بالإضافة إلى تأمين قوافل التجار القادمة إلى ميناء العقبة، ومن هنا جاءت تسمية بقية الخانات الأردنية (بالقلاع).

ومما يؤكد صحة هذا الرأي أن الظاهر بيبرس كان من عادته عند تشييده لأي بناء أن يسجل (رنكه) على واجهة أي بناء ينتهي من إنشائه، والمعروف أن رنك بيبرس هو الأسد، وقد رأينا صورة الأسد منقوشة على جسر دامية على نهر الأردن الذي بناه سنة 671هـ (1273م)⁽¹⁾.

كما نشاهده على أحد أبراج الكرك المسمى (برج الظاهر). ومن الجدير بالملاحظة أننا نشاهد على البرج الشمالي الشرقي من خان العقبة حجرا مربعا تزينه نقوش مروحية، وفي أعلى هذا الحجر المربع رسم لأسدين متقابلين⁽²⁾، يمثلان رنك السلطان الملك الظاهر بيبرس. ولكي يكون حكمنا سليما أيضا، فقد ورد ذكر لهذا البرج في القرن الثامن الهجري، فأبو الفداء أشار إليه عند تعرضه لذكر العقبة فقال: «وهي على ساحل بحر القلزم وعليها طريق حجاج مصر، وهي في زماننا برج وبه وال من مصر، وليس بها مزدرع وكان لها قلعة في البحر فأبطلت ونقل الوالي إلى البرج في الساحل»⁽³⁾.

(1) إبراهيم طرخان، دولة المماليك الجراكسة، ص 325.

Muir, The Mameluke of Slave dynsty of Egypt, P. 21.

Quatremer, Histoire des Sultans Mamlouks: Vol. 2, P. 15.

(2) Musil. The Northern Hegaz, P. 87.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 87 وانظر: المحيي، خلاصة الأثر، ج 1، ص 9.

ومن الأدلة التي أستند إليها مبالغة مني في التأكيد بأن هذا الخان كان قائما بالفعل في عصر دولة المماليك الأولى نص تاريخي للمقريزي عثرت عليه أشار فيه إلى هذا الخان، فقد ذكر أن السلطان الأشرف شعبان توجه للحج في سنة 778هـ (1376م) فتآمر المماليك عليه في العقبة ثم قتلوه، فقام الأمير بهادر أمير اخور فوضع (بعض الزاد والعلف بخان العقبة وانتهب المماليك من الأثقال ما قدرت عليه⁽¹⁾). هذا النص الصريح لا يدع مجالاً للشك في وجود خان العقبة في عهد دولة المماليك الأولى، ويؤكد أنه كان قائماً في هذا التاريخ مما يقطع يقيناً بأنه أقيم قبل ذلك كما يؤكد الرنك أنه من بناء بيبرس، ودور قانصوه الغوري يقتصر على أنه تولى ترميمه وتجديد بنائه وتدعيمه فحسب، وذلك عندما دعت الحاجة إلى مثل هذه التحصينات على البحر الأحمر للوقوف في وجه أطماع الأساطيل البرتغالية التي كانت تسعى إلى السيطرة على تجارة المشرق عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر، وفي نفس الوقت حماية لقوافل الحجاج من هجمات الأعراب⁽²⁾. فقد عهد إلى المهندس خاير بك المعمار ومعه بعض المهندسين للقيام بمهمة تجديد بناء خان العقبة وبناء بعض الأبراج والحواصل، وتصليح الطريق المؤدية وإزالة العراقيب التي كان يتضرر منها الحجاج⁽³⁾، وبناء رصيف في الميناء لرسو السفن الحربية التي زودت بالمدافع لحماية الجنوب العربي وسواحل الحجاز من التدخل الأوروبي.

ويقوم خان العقبة على رأس خليج العقبة على بضع مئات من الخطوات عن البحر، وكان يفصله عنه بستان نخل. والخان أو القلعة مربعة الشكل، مبنية من

(1) المقريزي، السلوك، ج 3، ص 285.

(2) ابن الشماخ، عيون الأخبار فيما وقع لجامعة من الإقامة والأسفار، ج 1، لوحة 82 (مخطوط).

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ط الشعب، ص 774.

حجارة ملساء بيضاء وسوداء على التعاقب. ويرتكز على كل ركن منها برج اسطواني، ولها مدخل رائع يتوسط الجانب الشمالي وعلى جانبيها برجان مستديران، وزود المدخل بقنطرة ويفضي المدخل إلى ساحة القلعة الداخلية عن طريق دهليز ضخم معقود بالقبوات وهذا الدهليز مربع الشكل تقريبا طوله 7 أمتار وعرضه 6 أمتار⁽¹⁾. وعن يمين الداخل ويساره ديوانان مبنيان بالحجر قد نقشت عليهما على مسافة خمسة أقدام من الأرض كتابة عربية نصها:

«أمر بإنشاء هذه القلعة المباركة السعيدة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين».

وعن يسار الداخل يوجد تكملة للنقش نصه ما يلي:

«محبي العدل في العالمين السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري أعز الله أنصاره بمحمد وآله وكان ... هذه القلعة المباركة ذات الأمير خاير بك العلاي (العلائي) المعماري... بتاريخ (سنة) عشر (وتسعمائة)»⁽²⁾.

وسنة التاريخ غير واضحة في النقش، مما دعا بعض الباحثين إلى احتمال قراءتها (سنة عشرين وتسعمائة أو عشر وتسعمائة)⁽³⁾. وأرجح أنها سنة (عشر وتسعمائة)، استنادا إلى ما ذكره ابن الشماخ الذي توجه للحج من القاهرة سنة 911هـ (1505م)،

(1) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 194.

عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج 2، ص 205.

Musil, Op. Cit. P. 85.

(2) وانظر نص النقش أيضا في:

Glidden, The Mamluke Origin of the Fortified Khan at Al-Aqabah, Jordan

Archaeologic Orientalia immemorian, Ernest Herzfeld, New York, 1952, P. 117.

(3) Ibid, P. 118.

فهو يقول: «وفي يوم السبت سلخ شوال وصلنا إلى العقبة ... فنزلنا تجاه الخان الذي بناه صاحب مصر، وهو خان عظيم وبه جند من الأتراك مرصودون»⁽¹⁾.

فالخان موجود إذن سنة 11 هـ، فالتاريخ الصحيح لأعمال قانصوه الغوري في الخان هو في رأيي سنة 910 هـ.

وقد جدد هذا الخان السلطان العثماني مراد الثالث (1574-1595) سنة 996 هـ (1588م) وأثبت ذلك في نقش داخل القلعة، ففي واجهة القلعة وعلى القنطرة حجران مستديران عليهما هذه العبارة:

«لمولانا السلطان الأشرف

مراد بن سليم خان عز نصره جدد

هذه القلعة».

وهناك حجران آخران مستديران في داخل البوابة إلى يسار الداخل عليهما النقش

التالي:

«لمولانا السلطان مراد بن سليم

عز نصره جدد هذه القلعة

سنة 996 هـ»⁽²⁾.

(1) ابن الشماخ، المصدر السابق، ج 1، لوحة 82 (مخطوط).

(2) نعوم شقير، تاريخ سيناء، ص 195.

عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج 2، ص 205.

ويؤدي الدهليز إلى ساحة واسعة مربعة الشكل هي صحن الخان، تحف بها بوائك تدور بالصحن من سائر الجهات وتنتهي بغرف عقدت أبوابها بعقود مدببة، وقد خصصت هذه الغرف فيما يبدو ثكنات للجنود ومخازن للمهمات والذخائر الخاصة بالتجار والحجاج، وفي الجهة الجنوبية من الساحة توجد بئر عميقة عذبة المياه، وكانت تزود الخان ومن فيه بالماء. والقلعة (الخان) مكونة من طابقين، إلا أن معظم هذا الطابق متهدم الآن، بالإضافة إلى أن أسوار القلعة الشمالية والشرقية نصف خربة.

وقد كانت القلعة تابعة لمصر، ولكن الحكومة المصرية سلمتها للدولة التركية في سنة 1892⁽¹⁾، فاستبدلت الحماية المصرية بأخرى تركية، وكان عددها 30 جندياً في سنة 1816م، عندما زارها الرحالة السويسري بيركهارت⁽²⁾، وتستبدل هذه الحماية بين فترة وأخرى بحرا.

(1) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج2، ص 206.

(2) بيركهارت، رحلات بيركهارت، ص 169.

الملاحق

- 1- نص كتاب رسول الله ﷺ إلى أسقف أيلة وأهلها.
- 2- نص كتاب الأمان الذي منحه الرسول ﷺ إلى يحنة بن رؤبة أسقف أيلة.
- 3- نص معاهدة الرسول ﷺ من أهل جرباء وأذرح.
- 4- نص الكتاب الذي أرسله فروة بن عمرو عامل معان إلى النبي ﷺ في المدينة.
- 5- نص جواب الرسول ﷺ إلى فروة بن عمرو عامل معان.
- 6- نص كتاب من صلاح الدين الأيوبي يعلن فيه عن فتح أيلة.
- 7- نص من كتاب صلاح الدين الأيوبي المرسل للخليفة العباسي في بغداد يخبره عن فتح أيلة.
- 8- نص الاتفاقية التي وقعت بين تركيا وخبديوية مصر بشأن تعيين الحدود من طابا إلى رفح على البحر المتوسط.

ملحق رقم (1)

نص كتاب رسول الله ﷺ إلى أسقف أيلة وأهلها،

من كتاب طبقات ابن سعد، ج 1، ص 277-278

إلى يحنة بن روبة وسروات أهل أيلة

سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. فإني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم، فأسلم أو أعط الجزية وأطع الله ورسوله ورسول الله، وأكرمهم واكسهم كسوة حسنة غير كسوة الغزاة واكس زيدا كسوة حسنة. فمهما رضيت رسلي فإني قد رضيت وقد علم الجزية. فإن أردتم أن يأمن البر والبحر فأطع الله ورسوله. ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم إلا حق الله ورسوله. وإنك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخذ منكم شيئا حتى أقاتلكم فأسيي الصغير وأقتل الكبير فإني رسول الله بالحق أو من بالله وكتبه ورسله وبالمسيح ابن مريم أنه كلمة الله وإني أو من به أنه رسول الله.

وأت قبل أن يمسكم الشر فإني قد أوصيت رسلي بكم. وأعط حرملة ثلاثة أوسق شعيرا وإن حرملة شفع بكم. وإني لولا الله وذلك لم أرسلكم شيئا حتى ترى الجيش وإنكم إن أطعتم رسلي فإن الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه.

وإن رسلي شرحبيل وأبي وحرملة وحريث بن زيد الطائي فإنهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته وإن لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله.

والسلام عليكم إن أطعتم.

وجهزوا أهل مقنا إلى أرضهم.

ملحق رقم (2)

نص كتاب الأمان الذي منحه الرسول (ﷺ) إلى يحنه

ابن رؤبة أسقف أيلة سنة 9 هـ / 630 م من كتاب

طبقات ابن سعد، ج 1، ص 289

بسم الله الرحمن الرحيم. هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة، لسفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله، ولمن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، ومن أحدث حدثا، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيبة لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه، من بر وبحر.

هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرح حبل بن حسنة بإذن رسول الله.

ملحق رقم (3)

نص معاهدة الرسول ﷺ مع أهل جرباء وأذرح،

من كتاب طبقات ابن سعد، ج 1، ص 291

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح، أنهم آمنون بأمان الله ومحمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين. وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه.

وكتب رسول الله لأهل جرباء وأذرح

هذا كتاب من محمد النبي لأهل جرباء وأذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم.

ملحق رقم (4)

نص كتاب فروة بن عمرو عامل معان إلى النبي ﷺ

من كتاب مجموعة الوثائق السياسية في العهد

النبوي والخلافة الراشدة، ص 39-40

لمحمد رسول الله

إني مقر الإسلام مصدق به. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أنت
الذي بشر بك عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

ملحق رقم (5)

نص كتاب جواب الرسول (ﷺ) إلى فروة بن عمرو

عامل معان بعد أن أعلن إسلامه، من كتاب طبقات

ابن سعد، ج 1، ص 281

من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو

أما بعد فقد قدم علينا رسولك وبلغ ما أرسلت به وخبر عما قبلكم وأتانا
بإسلامك. وأن الله هداك بهداه إن أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقامت الصلاة
وآتيت الزكاة.

ملحق رقم (6)

نص كتاب من صلاح الدين يخبر فيها عن فتحه لأيلة

التي تحت العقبة في ممر حجاج مصر، من كتاب

القلقشندي، صبح الأعشى، ج 7، ص 27-28

هذه المكاتبة إلى المجلس الفلاني أعلى الله سلطانه، وعمر بالنجاح آماله وبالسعادة أوطانه، ولا زالت يد النصر تعرف يوم اللقاء عنانه، ويد لطف الله تفيض على الخلق يوم العلياء عنانه، وتمكن من هام الأعداء ونحورهم سيفه وسانه (نشعره) أنه لم تزل عوائد الله سبحانه عندنا متكفلة ما يوجب أن يبدأ الحمد ويعاد، مقربة لنا من الآمال ما كان رهين نأى وبعاد، موافقة لنا بالتوفيق فكأننا وإياه على ميعاد، معينة لنا على ما يعتده الغاش معاش وعيد معاد. وقد كان ما علم من غزوتنا إلى أيلة التي اتخذها العدو معقلا، وتدبرها منزلا، وعدّها موثلا. وغاض بها رونق الجملة، وفاض بها أهل القبلة، وصارت على مدارج الأنفاس، وعلى مراصد الافتراض والافتراس، وخصت الحرمين بأعظم فادح، واشتد عن حادثتها من لطف الله أعظم فاتح.

ولما توجهنا إليها، ونزلنا عليها، شاهدنا قلعة يحتاج راميتها إلى الدهر المديد، والأمل البعيد، والزاد العتيد، والبأس الشديد، تنبو بعطف جامع عن الخطبة، وتعرض بذكر مانع عن الضربة، وتعطف بأنف على السحاب شامخ، وتطلع في الصباح بوجه شادخ، كأنما بينها وبين الأيام ذمام، وكأن نار الحوادث إذا بلغت ماءها

برد وسلام، فأطفأنا بها متبصرين، ونزلنا من ناحية البر بها مفكرين، وبيننا نحن نأمر بالحرب أن يشب أوارها، وبالخييل أن تسير أسرارها، وبنار اللقاء أن يستطير شرارها، وبقناطير من الموت من القسى أن تعقد أوتارها، وبالمجانيق أن تعقد حناياها وتحل إزرارها، وبالكواكب أن تذيبهم طعم الصغار كبارها، إذ نادى مناد من أعلى قمته، ورأس قلتها معلنا بالأمان، ناسخا لآية الكفر بآية الإيمان. فأعارته الأسماع إنصاتها، واستحقت القلوب حصاتها، وعمدت إليه بنت بحر، عادت باب نصر، وساعة بدهر، وبشرني بغلام على كبر، وبظفر في سفر على قدر. فأعطى فرنجها ما طلبوا، وأتى اللطف للمسلمين بما لم يحتسبوا، وفي الحال رفعت عليها ألوية الإسلام ونشرت، وآوت إليها فئة الحق وحشرت، وتظاهرت عليها أولياء الله وظهرت، وقيل الحمد لله رب العالمين.

ملحق رقم (7)

كم كتاب أرسله صلاح الدين للخليفة العباسي في بغداد

يذكر فيها فتوحاته وحروبه ضد الفرنج ومنها قلعة أيلة

من كتاب القلقشندي، صبح الأعشى، ج 13، ص 86

... ومنها قلعة بثغر أيلة كان العدو قد بناها في بحر الهند، وهو المسلوك منه إلى الحرمين واليمن، وغزا ساحل الحرم فسبى منه خلقا، وخرق الكفر في هذا الجانب خرقا، فكادت القبلة أن يستولي على أصلها ومساجد الله أن يسكنها غير أهلها، ومقام الخليل صلوات الله عليه أن يقوم به من ناره غير برد وسلام. ومضجع الرسول شرفه الله أن يتطرقه من لا يدين بما جاء به من الإسلام. ففتح الله هذه القلعة، وصارت معقلا للجهاد وموثلا لسفار البلاد، وغيرهم من عباد العباد فلو شرح ما تم بها للمسلمين من الأثر الجليل، وما استمد من خلاصهم، وأحرق من زروع المشركين ورعى من غلاتهم، إلى أن ضعفت ثغورهم، واختلت أمورهم، لاحتيج فيه إلى زمن يشغل عن المهمات الشريفة لسماح مورده وإيضاح مقصده....

ملحق رقم (8)

نص الاتفاقية التي وقعت وتبذلت بين الدولة العثمانية
وخدوي مصر بشأن تعيين (خط فاصل إداري) بين ولاية الحجاز
ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة سيناء بعد حادثة طابا،
والمؤرخة في 13 شعبان 1324هـ، الموافق أول تشرين أول 1906م.
من كتاب تاريخ سيناء والعرب لنعوم شقير، ص 612-614

بما أنه قد عهد إلى كل من الأميرالاي أركان حرب أحمد مظفر بك والبكباشي
أركان حرب محمد فهمي بك بصفتهم مندوبي الدولة العلية وإلى كل من أمير اللواء
إبراهيم فتحي باشا والأميرالاي روجر كرميكل روبرت اوين بك بصفتهم مندوبي
الخدوية الجليلة المصرية بتعيين خط فاصل إداري بين ولاية الحجاز ومتصرفية
القدس وبين شبه جزيرة طور سيناء. قد اتفق الفريقان باسم الدولة العلية والخدوية
الجليلة المصرية على ما يأتي:

(المادة الأولى): يبدأ الخط الفاصل الإداري كما هو مبين بالخريطة المرفقة بهذه
الاتفاقية من نقطة رأس طابا الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتد إلى قمة

جبل فورت مارا على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على وادي طابا. ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالاستقامات الآتية:

من جبل فورت إلى نقطة لا تتجاوز مائتي متر إلى الشرق من قمة جبل فتحي باشا ومنها إلى النقطة الحادثة من تلاقي امتداد هذا الخط بالعمود المقام من نقطة على مائتي متر من قمة جبل فتحي باشا على الخط الذي يربط مركز تلك القمة بنقطة المفروق (المفروق هو ملتقى طريق غزة إلى العقبة بطريق نخل إلى العقبة). ومن نقطة التلاقي المذكورة إلى التلة التي إلى الشرق من مكان ماء يعرف بثميلة الراداي والمطلة على تلك الثميلة (بحيث تبقى الثميلة غربي الخط). ومن هناك إلى قمة رأس الراداي المدلول عليها بالخريطة المذكورة أعلاه بـ A3. ومن هناك إلى رأس جبل الصفرا المدلول عليه بـ A4. ومن هناك إلى القمة الشرقية لجبل أم قف المدلول عليها بـ A5. ومن هناك إلى نقطة مدلول عليها بـ A7 إلى الشمال من ثميلة سويلمة. ومنها إلى نقطة مدلول عليها بـ A8 إلى غرب الشمال الغربي من جبل سماوي. ومن هناك إلى قمة التلة التي إلى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة (وهو بئر في الفرع الشمالي من وادي مايين بحيث يكون البئر شرقي الخط الفاصل). ومن هناك إلى A9 ومنها إلى A9 bis غربي جبل المقراه. ومن هناك إلى رأس العين المدلول عليه A10 bis ومن هناك إلى نقطة على جبل أم حواويط المدلول عليها بـ A11. ومن هناك إلى منتصف المسافة بين عمودين قائمين تحت شجرة على مسافة (390) ثلاثماية وتسعين مترا إلى الجنوب الغربي من بئر رفح والمدلول عليها بـ A13. ومن هناك إلى نقطة على التلال الرملية في اتجاه (280°) مائتين وثمانين درجة من الشمال

المغناطيسي (أعني 80° إلى الغرب) وعلى مسافة أربعماية وعشرين مترا في خط مستقيم من العمودين المذكورين. ومن هذه النقطة يمتد الخط مستقيا باتجاه (334°) ثلاثماية وأربع وثلاثين درجة من الشمال المغناطيسي (أعني 26° إلى الغرب) إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط مارا بتلة خرائب على ساحل البحر.

(المادة الثانية): قد دل على الخط الفاصل المذكور بالمادة الأولى بخط اسود متقطع في نسختي الخريطة المرفقة بهذه الاتفاقية والتي يوقع عليها الفريقان ويتبادلانها بنفس الوقت الذي يوقعان فيه على الاتفاقية ويتبادلانها.

(المادة الثالثة): تقام أعمدة على طول الخط الفاصل من النقطة التي على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى النقطة التي على ساحل خليج العقبة بحيث أن كل عمود منها يمكن رؤيته من العمود الذي يليه وذلك بحضور مندوبي الفريقين.

(المادة الرابعة): يحافظ على أعمدة الخط الفاصل هذه كل من الدولة العلية والخديوية الجلييلة المصرية.

(المادة الخامسة): إذا اقتضى في المستقبل تجديد هذه الأعمدة أو الزيادة عليها فكل من الطرفين يرسل مندوبا لهذه الغاية وتطبق مواقع العمد التي تزداد على الخط المدلول عليه في الخريطة.

(المادة السادسة): جميع القبائل القاطنة في كلا الجانبين لها حق الانتفاع بالمياه حسب سابق عاداتها أي أن القديم يبقى على قدمه فيما يتعلق بذلك وتعطى التأمينات اللازمة بهذا الشأن إلى العربان والعشائر. وكذلك العساكر الشاهانية وأفراد الأهالي والجنדרمة ينتفعون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل.

(المادة السابعة): لا يؤذن للعساكر الشاهانية والجندرمة بالمرور إلى غربي الخط
الفاصل وهو مسلحون.

(المادة الثامنة): تبقى أهالي وعربان الجهتين على ما كانت عليه قبلا من حيث
ملكية المياه والحقول والأراضي في الجهتين كما هو متعارف بينهم.

مندوبون من قبل الدولة العلية

مندوبون من قبل الخديوية

الجليلة المصرية

أمير الای أركان حرب (مظفر)

أمیر اللواء (إبراهيم فتحي)

بكباشي أركان حرب (فهمي)

أمیر الای (اوين)

المصادر والمراجع

1- المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة.

2- المراجع الحديثة عربية و مترجمة.

3- المراجع باللغات الأوروبية.

أولاً: المصادر العربية:

- 1- الأزدي (أبو إسماعيل محمد بن عبدالله)
كتاب فتوح الشام، صححه وليم ناسوليس، الهند، 1854م.
- 2- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي)
نسق الأزهار في عجيب الأقطار، مخطوط بدار الكتب المصرية.
- 3- ابن إياس
بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط الشعب، القاهرة، 1960م.
- 4- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم)
الكامل في التاريخ 12 جزءاً، دار صادر، بيروت، 1979م.
- 5- ابن الأثير
اللباب في تهذيب الأنساب، 3 أجزاء، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ).
- 6- ابن أبيك (أبو بكر بن عبد الله أبيك)
كنز الدرر وجامع الغرر، القاهرة، 1972م.
- 7- ابن أبي الدم (شهاب الدين إبراهيم بن أبي الدم الحموي)
التاريخ المظفري، مخطوط مكتبة بلدية الإسكندرية - الإسكندرية.
- 8- ابن بطوطة (أبو عبد الله بن محمد بن إبراهيم)
تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار 2 جزء تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1979م.
- 9- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد)
صفة الصفوة، 4 أجزاء، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، 1979م.

- 10- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي)
رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م.
- 11- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد)
أنباء العمر بأبناء العمر، 3 أجزاء، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، 1969م.
- 12- ابن حجر
تبصير المشتبه بتحرير المشتبه، تحقيق علي محمد البجاوي، 2 جزء،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1968.
- 13- ابن حجر
تهذيب التهذيب، 12 جزء، ط 1، حيدر آباد، الهند، 1325م.
- 14- ابن حجر
تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط 2، 2 جزء، دار
المعرفة، بيروت، 1975م.
- 15- ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون)
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من
ذوي السلطان الأكبر، 7 أجزاء، دار الطباعة العامرية، القاهرة، 1284هـ.
- 16- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله)
المسالك والممالك، ليدن، 1309هـ.
- 17- ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن إبراهيم)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 6 أجزاء، القاهرة، 1948م.
- 18- ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر)
الأعلاق النفيسة، ليدن، 1891م.

- 19- ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع البصري)
طبقات ابن سعد، 9 أجزاء، دار صادر، بيروت، 1968م.
- 20- ابن شداد (عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم)
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، 3 أجزاء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1953-1963م.
- 21- ابن شداد (القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة التمدن، القاهرة، 1903م.
- 22- ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس، 1894م.
- 23- ابن الشماخ (عمر بن أحمد بن علي)
عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الإقامة والأسفار، 3 أجزاء، مخطوط بدار الكتب المصرية.
- 24- ابن طولون الصالحي (شمس الدين بن علي بن محمد)
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان تاريخ مصر والشام، 2 جزء، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، 1962م.
- 25- ابن ظهيرة (برهان الدين بن علي بن محمد)
الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب، القاهرة، 1969م.
- 26- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله)
تهذيب تاريخ دمشق الكبير، 7 أجزاء، دار المسيرة، بيروت، 1979م.
- 27- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير)
البداية والنهاية، 14 جزء، مطبعة السعادة، القاهرة، 1358هـ.

- 28- ابن ماكولا (الحافظ ابن ماكولا)
الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى
والأنساب، 7 أجزاء، بيروت (بدون تاريخ).
- 29- ابن منكلي (محمد بن منكلي)
الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية في فن قتال في البحر، مخطوط مكتبة
كلية آداب جامعة الإسكندرية.
- 30- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري)
السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ
شليبي، 4 أجزاء، دار الكنوز الأدبية، بيروت، (بدون تاريخ).
- 31- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 5 أجزاء، الثلاثة الأولى حققها جمال
الدين الشيال، القاهرة، 1953-1960م.
- الرابع والخامس، تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور، دار الكتب، القاهرة،
1972م، 1977م.
- 32- ابن الوردي (عمر بن محمد)
تمة المختصر في أخبار البشر، 2 جزء، المطبعة، الوهبية، القاهرة، 1285هـ.
- 33- أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل)
الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 2 جزء، تحقيق محمد
حلمي محمد، القاهرة، 1956-1962م.
- 34- أبو الفلاح (عبد الحي بن العماد الحنبلي)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 أجزاء، في أربع مجلدات، دار الآفاق،
بيروت، (بدون تاريخ).

- 35- أبو الفداء (المؤيد عماد الدين إسماعيل)
تقويم البلدان، مطبعة المثنى، بغداد، 1850م.
- 36- أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغري بردى)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 16 جزءاً، القاهرة، 1932-1972م.
- 37- أبو المحاسن
حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، 3 أجزاء، تحقيق وليم بوير،
كلفورنيا، 1931م.
- 38- الأصبخري (إبراهيم بن محمد الفارسي)
مسالك الممالك، ليدن، 1927م.
- 39- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر)
فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- 40- البخاري (إسماعيل بن إبراهيم)
كتاب التاريخ الكبير، 9 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- 41- البكري (عبد الله بن عبد العزيز البكري)
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفى السقا، عالم
الكتاب، بيروت، 1945م.
- 42- با مخرمة (أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله)
تاريخ ثغر عدن، 2 جزء، ليدن 1936-1950م.
- 43- الحميري (محمد بن عبد المنعم)
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر
الثقافية، ط2، 1980م.

- 44- الحنبلي (القاضي مجير الدين الحنبلي)
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2 جزء، مكتبة المحتسب، عمان، 1973م.
- 45- الخزرجي (علي بن الحسن)
كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني،
2 جزء، مطبعة الهلال، القاهرة، 1911م.
- 46- الدينوري (أحمد بن داود)
الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة المثنى، بغداد، 1959.
- 47- الدمشقي (أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لبيزج، 1923م.
- 48- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان)
المشبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم، 2 جزء، تحقيق علي محمد البجاوي،
القاهرة، 1962م.
- 49- الذهبي
ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحقيق علي محمد البجاوي، 4 أجزاء، دار
المعرفة، بيروت، 1963م.
- 50- الذهبي
دول الإسلام، 2 جزء، تحقيق فهد محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم،
الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.
- 51- زين الدين المعبري الملباري
تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرنكاليين، لشبونة، 1898م.
- 52- سبط ابن الجوزي (يوسف بن غزا اوغلي)
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج 8، مخطوط مصور من سنة 495هـ-654هـ،
ط شيكاغو، مكتبة بلدية الإسكندرية.

- 53- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد)
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 12 جزءاً، مكتبة القدسي، القاهرة،
1355-1353هـ.
- 54- السمعاني (عبد الكريم محمد بن منصور التميمي)
الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى العلمي، 10 أجزاء، بيروت، 1980م.
- 55- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 2 جزء، تحقيق محمد أبو الفضل،
دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1967م.
- 56- الطبري (محمد بن جرير)
تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل، 12 جزءاً، دار المعارف، مصر،
1968م.
- 57- عبد الرحمن بن عبد الحكم
فتوح إفريقية والأندلس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.
- 58- العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله)
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج16، مخطوط بدار الكتب المصرية.
- 59- عمر الملك الأشرف ابن يوسف بن رسول
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق ل. وستر ستين، المجمع
العلمي، دمشق، 1949م.
- 60- الغزي (محمد بن بدر الدين محمد)
الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 3 أجزاء، تحقيق جبرائيل سليمان
جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

- 61- الفسوي (يعقوب بن سليمان بن جوان الفارسي)
 كتاب المعرفة والتاريخ، 3 أجزاء، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة
 الإرشاد، بغداد، 1974-1976.
- 62- القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد)
 صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14 جزءاً، القاهرة، 1963م.
- 63- القاضي عياض
 ترتيب المدارك وتغريب المسالك، تحقيق أحمد بكير محمود، 5 أجزاء، دار
 الحياة، بيروت، 1967م.
- 64- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)
 آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960م.
- 65- المحبي (محمد بن فضل الله بن محمد)
 خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 4 أجزاء، القاهرة، 1284هـ.
- 66- ماركو بولو
 رحلة ماركو بولو، ترجمها للعربية عبد العزيز جاويد، الهيئة العامة للكتاب،
 القاهرة، 1977م.
- 67- مجهول
 تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زير شتين، ليدن، 1919م.
- 68- المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي)
 السلوك لمعرفة دول الملوك، 4 أجزاء، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد
 عاشور، دار الكتب، القاهرة، 1924-1973م.
- 69- المقرئزي
 الخطط، 4 أجزاء، مطبعة النيل، القاهرة، 1324-1326هـ.

- 70- المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، ليدن، 1906م.
- 71- نشوان بن سعيد الحميري
منتخبات من أخبار اليمن، تحقيق عظيم الدين أحمد، لندن، 1916م.
- 72- نجم الدين عمارة الحكمي
تاريخ اليمن، تحقيق حسن سليمان محمود، دار الشفاء للطباعة، القاهرة،
(بدون تاريخ).
- 73- النهرواني (قطب الدين محمد بن أحمد المكي)
البرق اليماني في الفتح العثماني، أشرف على طبعه حمد الجاسر، الرياض،
1967م.
- 74- النويري (أحمد بن عبد الوهاب)
نهاية الأرب في فنون الأدب، ج31، مخطوط بدار الكتب المصرية.
- 75- الواقدي (أبو عبد الله بن عمر)
فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، (بدون تاريخ)
- 76- ولي الدين العراقي (عبد الرحيم بن الحسين)
الذيل على ذيل كتاب العبر، مخطوط مكتبة بلدية الإسكندرية.
- 77- الورثياني (الحسن بن محمد السعيد)
نزعة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المعروف بالرحلة الورثيانية،
ط2، بيروت، 1974م.
- 78- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)
كتاب البلدان، ليدن، 1891م.

- 79- يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد
غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور ومحمد مصطفى
زيادة، 2 جزء، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968م.
- 80- ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله)
معجم البلدان، 10 أجزاء، مطبعة دار السعادة، القاهرة، 1907م.
- 81- ياقوت الحموي
المشترك وضعاً والمفترق صقعا، جوتنجن، المانيا، 1846م.

ثانياً: المراجع الحديثة العربية والمترجمة

- 1- إبراهيم أمين غالي
سيناء المصرية عبر العصور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1976م.
- 2- إبراهيم العدوي
الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مطبعة لجنة البيان العربي،
القاهرة، 1951م.
- 3- إبراهيم طرخان
مصر في عصر المماليك الجراكسة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة،
1960م.
- 4- أنيس فريحه
أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، منشورات الجامعة الأمريكية،
بيروت، 1972م.
- 5- آيدرس بل
مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة عبد اللطيف أحمد
علي، بيروت، 1972م.
- 6- أحمد السعيد سليمان
تاريخ الدول الإسلامية والأسر الحاكمة، 2 جزء، دار المعارف، مصر،
1972م.
- 7- أحمد رمضان أحمد
شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، الجهاز المركزي للكتب الجامعية،
القاهرة، 1977م.

- 8- أحمد مختار العبادي
البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك، بحث في كتاب البحرية
المصرية، جامعة الإسكندرية، 1973م.
- 9- بانيكار
آسيا والسيطرة الغربية، القاهرة، 1961م.
- 10- بيركهارت
رحلات بيركهارت - سوريا الجنوبية، جزء 2، ترجمة أنور عارف، المطبعة
الأردنية، عمان، 1969م.
- 11- جورج حوراني
العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو
المصرية، القاهرة، 1958م.
- 12- درويش النخيلي
السفن الإسلامية على حروف المعجم، إسكندرية، 1974م.
- 13- رانسمان
تاريخ الحروب الصليبية ترجمة الباز العريني، 3 أجزاء، دار الثقافية، بيروت،
1967-1968م.
- 14- رينه ديسو
العرب في سوريا، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، الدار القومية للطباعة
والنشر، القاهرة (بدون تاريخ).
- 15- سعيد عاشور
مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة، بيروت، 1972م.
- 16- سعيد عاشور
تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة، بيروت، 1976م.

- 17- سونياهاو
في طلب التوابل، القاهرة، 1957م.
- 18- سيدة إسماعيل كاشف
المنهج التاريخي لابن عبد الحكم، بحث في كتاب دراسات عن ابن الحكم،
القاهرة، 1975م.
- 19- شارل ديل
البندقية جمهورية أرستقراطية، القاهرة، 1947م.
- 20- صبري فارس الهيثي
الخليج العربي، وزارة الثقافة العراقية، 1981م.
- 21- عبد العزيز سالم
الدولة العربية، دار النهضة، بيروت، 1971م.
- 22- عبد العزيز سالم
محاضرات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، 1970م.
- 23- عبد العزيز سالم
طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، دار المعارف، الإسكندرية، 1967م.
- 24- عبد العزيز سالم
البحرية المصرية في العصر الفاطمي، بحث في كتاب تاريخ البحرية المصرية،
جامعة الإسكندرية، 1973م.
- 25- عبد العزيز نوار
تاريخ العرب المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.
- 26- عبد اللطيف أحمد علي
مصر والامبراطورية الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.

- 27- عبد اللطيف أحمد علي
محاضرات في العصر الهلنستي، مطبعة كريدية، بيروت.
- 28- عبد الرحمن زكي
الجيش المصري في العصر الإسلامي، 2 جزء، القاهرة، 1970م.
- 29- عز الدين فودة
البحر الأحمر في حماية آل عثمان:
جريدة الشرق الأوسط العدد 1559 تاريخ 6/3/1983م.
العدد 1566 تاريخ 13/3/1983م.
- 30- فيليب حتي
تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، 2 جزء، ترجمة جورج حداد وكمال
اليازجي، دار الثقافة، بيروت، 1958-1959م.
- 31- لوريمر
دليل الخليج، الدوحة، 1968م.
- 32- موسل
دائرة المعارف الإسلامية، مادة (أيلة).
- 33- منذر عبد الكريم البكر
دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة البصرة، العراق،
1980م.
- 34- محمد حميد الله الحيدري
مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، مطبعة لجنة
التأليف والنشر، القاهرة، 1941م.

- 35- محمد فاتح عقيل
أهمية الموقع الجغرافي لسواحل مصر العربية، بحث في كتاب البحرية
المصرية، جامعة الإسكندرية، 1973م.
- 36- محمد عواد حسين
البحرية المصرية في عهد البطالسة، بحث في كتاب البحرية المصرية، جامعة
الإسكندرية، 1973م.
- 37- محمد عبد العال أحمد
البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، (نصوص
تاريخية من كتاب با مخرمة) الإسكندرية، 1980م.
- 38- محمد عبد العال أحمد
بنو رسول وبنو طاهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م.
- 39- محمد عبد العال أحمد
الأيوبيون في اليمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م.
- 40- نسيب وهيب الخازن
من الساميين إلى العرب، دار المعارف، بيروت، 1979م.
- 41- نعوم شقير
سيناء والعرب، القاهرة، 1916م.
- 42- نجيب ميخائيل
مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر، مطبعة إسكندرية،
الإسكندرية، والجزء الثالث، سورية، دار المعارف، القاهرة، 1959م.
- 43- نجيب ميخائيل
البحرية المصرية في العصر الفرعوني، بحث في كتاب البحرية المصرية،
جامعة الإسكندرية، 1973م.

- 44- نولدكه
أمراء غسان، ترجمة بندلي حوزي، وقسطنطين زريق، بيروت، 1933م.
- 45- نعيم زكي فهمي
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، 1973م.
- 46- نقولا زيادة
الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، 1962م.
- 47- هاملتون جب
صلاح الدين الأيوبي، ترجمة يوسف ابيش، مؤسسة خليفة للطباعة،
بيروت، 1973م.
- 48- يوسف غوانمة
التاريخ السياسي لشرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، ط2، دار
الفكر، عمان، 1982م.
- 49- يوسف غوانمة
التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، ط2، دار الفكر،
عمان، 1982م.
- 50- يوسف غوانمة
عمان حضارتها وتاريخها، دار اللواء، عمان، 1979م.
- 51- يوسف غوانمة
إمارة الكرك الأيوبية، ط2، دار الفكر، عمان، 1982م.
- 52- يوسف غوانمة
دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، دار الفكر، عمان،
1983م.

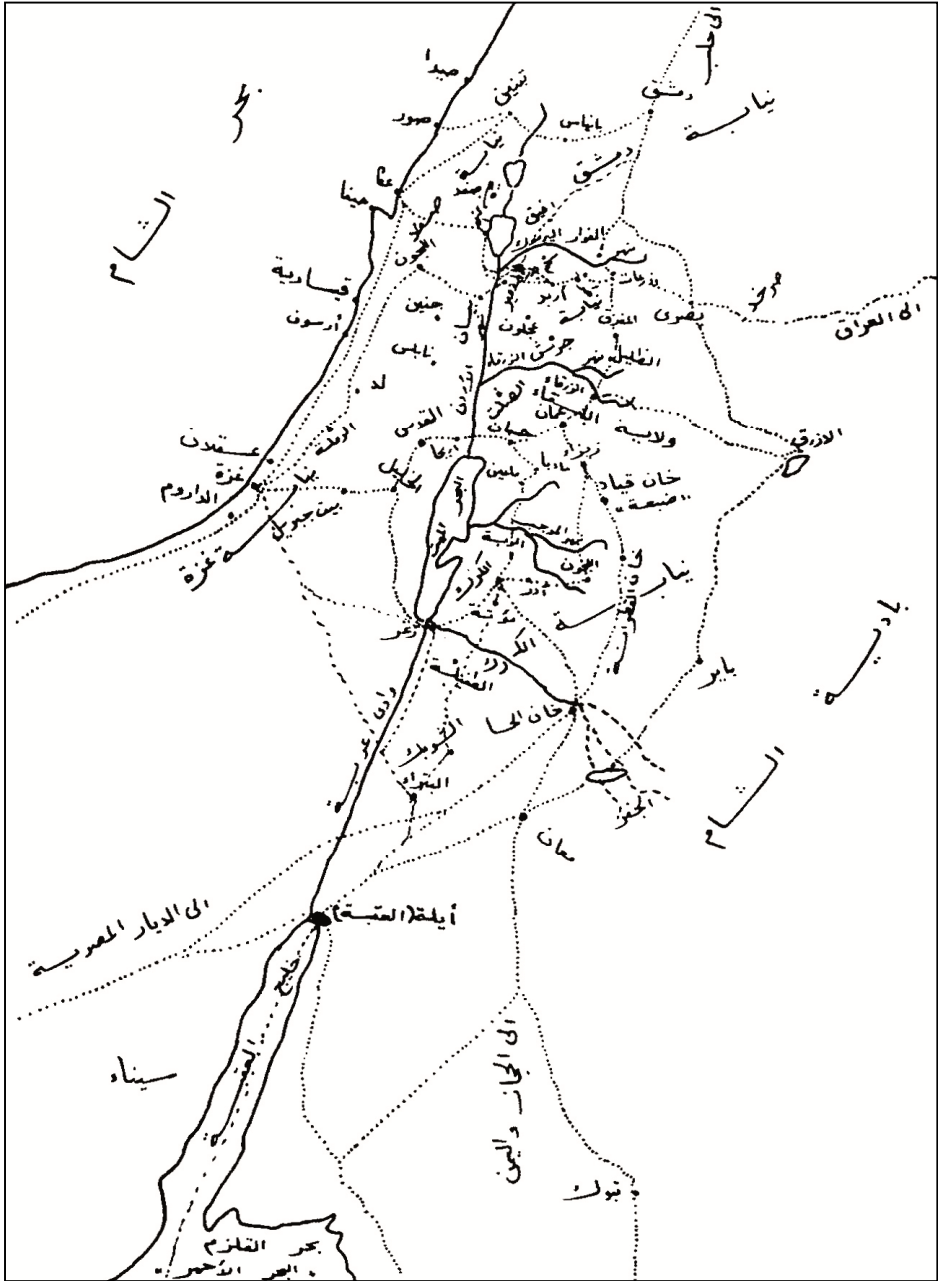
ثالثا: المراجع باللغات الأوروبية:

- 1- Arthur (P.S.)
Sinai and Palestine, London, 1889.
- 2- Benvenisti, (M.)
The Crusaders in the Holy land, New York, 1972.
- 3- Conder, G. R.
The latin Kingdom of Jerusalem, London, 1897.
- 4- Fedden, (R)
Syria an historical appreciation, London, 1946.
- 5- Fulcher of Chartres,
A History of expedition to Jerusalem, 1095-1127, Translated by
F. Rida Ryan, New York, 1973.
- 6- Guillaume de Tyr,
Receil des historiens de Croisades, H. occ. vol. 1
- 7- Grant, (C. P.)
The Syrian desert, New York, 1938.
- 8- Glidden, (H.)
The Mamluk Origin of the Fortified Khan at Al-Aqabah, Jordan
Archaeologic orientalia in memoriam, Ernest Herzfeld, New Yrok,
1952.
- 9- Grousset, (R.)
Histoire des croisades, 3 vols. Paris, 1948.

- 10- Haussig, (H. W.)
A History of Byzantine Civilization Translated by: J. M. Hussey,
New York, 1971.
- 11- Heyd, (W.)
Histoire du Commerce du Levant au moyen Age, 2 vols, Lipzig,
1886.
- 12- Kemmerer, (A.)
Petra et la Nabatene, Paris, 1929.
- 13- Kemmerer, (A.)
Le Mer Rouge, 2 vols, le caire 1929-1935.
- 14- Kay,
Yemen Its early Mediaevel History, London, 1883.
- 15- King, (E.)
The Knights Hospitallers in the Holy land, London, 1931.
- 16- Lammens,
La Syrie Precis historique, Beyrouth, 1921.
- 17- Lane Poole, (S.)
Saladin, and the fall of the Kingdom of Jerusalem, Beirut, 1964.
- 18- Lamb, (H.)
The Flame of Islam, London, 1943.
- 19- Morrisson, (C.)
Les croisades, Paris, 1969.
- 20- Moss, (L. B.)
The birth of the Middle Ages, New York, 1977.

- 21- Muir,
The Mameluke of Slave dynsty of Egypt, London, 1896.
- 22- Musil, (A.)
The Northern Hegaz, New York, 1926.
- 23- Musil, (A.)
Arabia Petraea Moab, Edom, 2 vols. Holand. 1907-1908.
- 24- Narayan,
Oman and Gulf Security, 1979.
- 25- Ostrogorsky, (G.)
History of the Byzantine state, New Brunswick, U.S.A. 1969.
- 26- Praver, (J.)
The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972.
- 27- Quatremer,
Histoire des Sultans Mamlouks, 2 vols. Paris, 1837.
- 28- Recueil des Historiens des croisades, 16 vols. Paris , 1881 et 1884.
- 29- Rosebault,
Saladin Prince of chivalry, London, 1930.
- 30- Setton (K.)
A History of the Grusades, 2 vols. London, 1962.
- 31- Schlumberger, (G.)
Renaud de chatillon, Paris, 1898.
- 32- Stevenson, (W.D.)
The Crusaders in the East, Beirut, 1968.
- 33- Todd,
The Ancient world, London, 1938.

- 34- Thompson, (J.)
An Economic and social history of the Middle Ages, London,
1928.
- 35- Vasiliev, (A.A.)
Justin the first, Cambridge, 1950.
- 36- Vasiliev, (A.A.)
History of the Byzantine Empire, 2 vols. U.S.A 1970.
- 37- Wilson,
The Persian Gulf, London, 1945.
- 38- Willeam of Tyre,
A History of deeds done beyond the Sea, 2 vols. New York, 1943.
- 39- The Jewish Encyclopidia, Article, "Jotabah".



أيلة (العقبة) وشبكة المواصلات وطرق التجارة البرية والبحرية

الفهرست

7	المقدمة
15	الفصل الأول: أيلة (العقبة) في العصور القديمة
17	1- التسمية والموقع
25	2- أيلة في التاريخ القديم حتى الفتح العربي الإسلامي
39	الفصل الثاني: أيلة (العقبة) في العصر الإسلامي
41	1- في عصر الرسول والخلفاء الراشدين
45	2- في العصر الأموي والعباسي
49	3- في العصر الأيوبي وفترة الصراع الصليبي في الشام
53	4- حملات أرناط للجنوب العربي والحجاز
53	أ- الحملة الأولى في سنة 577 هـ (1181م)
58	ب- الحملة الثانية في 578 هـ (1182م)
69	5- في العصر المملوكي
73	الفصل الثالث: الأهمية الاقتصادية لأيلة (العقبة) والبحر الأحمر
75	1- في العصور القديمة
87	2- في العصر الإسلامي

99	الفصل الرابع: الصراع الدولي في السيطرة على البحر الأحمر
101	1- في العصر المملوكي
113	2- في العصر العثماني
113	أ- صراع القوى العظمى على خطوط المواصلات الدولية
127	ب- حادثة طابا في خليج العقبة
135	الفصل الخامس: الحركة العلمية في أيلة (العقبة)
137	1- النشاط العلمي والثقافي
139	2- ترجمة لبعض العلماء والفقهاء من أيلة
155	الفصل السادس: بعض الآثار الباقية في أيلة (العقبة)
157	1- جزيرة فرعون Ile de Graye
161	2- خان (قلعة) العقبة
167	الملاحق
187	المصادر والمراجع
211	الفهرست